

المؤرخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي

(1295-1379هـ / 1878-1959م)

وكتابه (فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن)

" دراسة تاريخية.... تحليلية "

أ.م. د/ أمة الغفور عبدالرحمن الأمير¹

¹ - استاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك في قسم التاريخ والعلاقات الدولية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء.

ملخص البحث

يعاني التاريخ اليمني من غياب منهجية وطنية قومية تنتهج علمياً في كتابة التاريخ فضلاً عن غياب استراتيجية واضحة للدراسات العليا تراعي التنوع في الجيد للمختصين في جوانب الدراسة والبحث إضافة إلى غياب قانون وطني يحسم ملكية الموروث التاريخي والحضاري الوطني أمام المهذبات الكثيرة المادية والعلمية.

مما لا شك فيه أن الفترة التاريخية التي عاشها المؤرخ عبدالواسع بن يحيى الواسعي

(1295-1379هـ / 1878 - 1959م)، كان لها أثر بالغ في صقل شخصه كعالم ومؤرخ، وقد تضافرت عدة عوامل أثرت في نتاجه الفكري وفي رفع شأنه كمؤرخ، منها قربه من الأئمة الزيدية - أسرة الإمام يحيى بن حميد الدين - وارتباطه المباشر بأركان الدولة كونه أحد المسؤولين فيها من خلال الوظائف التي تقلدها، إذ تدور كلها حول العلم والتعليم، ومن تلك الوظائف أنه عُين مديراً لدار العلوم بصنعاء، لبضع سنوات، تخرج على يديه الرعيل الأول من العلماء، وقد أشار المؤرخ إلى هذه الدار في كتابه هذا، فذكر أن الإمام يحيى أسس في صنعاء داراً للعلماء والمتعلمين، ومن أخذ الشهادة أرسل معلماً في إحدى القرى، وقد تخرج منها عدد كبير، كما تولى مؤرخنا عمالة أوقاف زبيد لفترة قصيرة، وقد مثل كتاب "فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن" تاريخياً حافلاً لليمن، وعلى وجه الخصوص الفترة التي عاصرها المؤرخ، وعلى الرغم من أن المؤرخ قد دون في كتابه بعضاً من تاريخ اليمن القديم وكذلك الإسلامي، وتاريخ اليمن الحديث، إلا أن التاريخ المعاصر فقد أولاه جل اهتمامه، فقد رسم لنا صورة تكاد تكون واضحة عن المجتمع الصناعي على وجه الخصوص، وبعضاً من الصور عند بقية المجتمع اليمني بشكل عام، فكان الكتاب مرآة صادقة تعكس عصر المؤرخ، وهو بذلك قد رسم لنا صورة شاملة واضحة لمجريات أحداث تلك الفترة بكل ظروفها، وهي بالتالي تساعد على توضيح وجهات النظر المختلفة مما كان يعمق في النهاية لتطور الأحداث وفي حقيقة الأمر فإن المؤرخ الواسعي يعتبر أحد النماذج البارزة بين مؤرخي عصره وذلك لغزارة مادته التاريخية ولعمق نظراته وتحليلاته .

ABSTRACT

By: Associate Professor, Amat Al-Ghafour Al-Ameer, Department of History and International Relations, Faculty of Arts and Humanities, Sana'a University

The Yemen history suffers from a national methodology, which is academically followed in writing the history, the absence of a clear strategy of higher studies that takes into account the diversity of specialists in the field of research, as well as the absence of national a national law for which resolves the ownership of the natinal historical and cultural heritage, which faces many physical and scientific threats.

Undoubtedly, the historical period which the historian, Abdulwas'e Bin Yahya Al-Was'iy (1295 – 1379 H/1878 – 1959AD) had experienced, had a great effect on polishing him as a scholar and a histirist. A number of factors had affected his intellectual product and on raising his status as a historist, some of which are his closeness to the Zaydi Imams – Yahya Bin Hameed Al-Deen's family – and his direct connection with the different pillars of the state as he is one of the officials in that state through the jobs he had taken up. All his jobs were related to knowledge and education; for example, he was assigned the dean of Dar Al-Oloum (The School of Religious Scinces) in Sana'a for a few years. Under his deanship in such a religious school, the first batch of scholars graduated. In his book, the historist, Al-Was'iy referred to that school, and he mentioined that the Imam Yahya established in Sana'a a school for the religious scinces and the educated. When a scholar graduated from that school, he was usually sent to a village as a teacher. A large number of scholars had graduated from Dar Al-Oloum. The historist, Al-Was'iy was also appointed as Director of Endowment Authority in Zabid for a short period. The book "**Views on the Worries and Sadness in the Events of the History of Yemen**) represents a long history of Yemen, especially the period in which the historist was a contemporay. Although the historist had written down in his book some of the histories of old Yemen, the Islmaic history, and the history of modern Yemen, the contemporary history had given much attention to it. It had given an image which is almost clear about the Sana'ani society in particular, and some images of the remaining areas of the Yemeni society in general. The book was a truthful mirror that reflects the era of the historist, Al-Was'iy, thereby giving a comprehensive and clear image of the course of events in that period with all its circumstances. It, therefore, helps in clarifying the different viewpoints, which eventually deepened the development of the events. In fact, Al-Was'iy is considered to be one of the prominent models among the historists of his era due to the richness of his historical material and of his profound views and analyses.

المقدمة :

يعاني التاريخ اليمني من غياب منهجية وطنية قومية تنتهج علميا في كتابة التاريخ فضلا عن غياب استراتيجية واضحة للدراسات العليا تراعي التنوع في الجيد للمختصين في جوانب الدراسة والبحث، إضافة إلى غياب قانون وطني يحسم ملكية الموروث التاريخي والحضاري الوطني أمام المهددات الكثيرة المادية والعلمية. وفي واقع الأمر فقد شهدت حركة التأليف في اليمن الحديث والمعاصر خلال فترة حياة المؤرخ عبدالواسع الواسعي (1295-1379هـ/1878 - 1959 م) نشاطا ملحوظا، تمثل في ظهور العديد من المؤرخين خلال هذه الفترة، تناولوا في مؤلفاتهم التاريخية الأوضاع والنواحي المختلفة لأحداث تلك الفترة من تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، كان المؤرخ الواسعي أحد أبرز مؤرخي تلك الفترة.

هدف البحث

يهدف البحث إلى توضيح جهود المؤرخ عبدالواسع بن يحيى الواسعي في كتابة تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، من خلال معاصرته لما دونه، خلال تلك الفترة التاريخية التي عاشها، وهي التي كانت مرآة صادقة عكست صورة عصره، من كل نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية.

أهمية الدراسة

أما أهمية هذا البحث ففي واقع الامر أنها تنبع من أهمية الفترة التاريخية ذاتها التي عاشها المؤرخ الواسعي. حيث نشطت حركة التأليف والتدوين التاريخي نتيجة لتأثرها بالحياة الثقافية والفكرية لهذه الأحداث، وتأتي أهمية هذا البحث أيضا إلى كون المؤرخ الواسعي من أبرز المؤرخين في عصره، حيث تميز بغزارة مادته وعمق نظراته وتحليلاته التاريخية وحرصه على الدقة في الإسناد وضبط الأحداث والتوقيت، ولذا فقد اهتم بتفاصيل كل ما كتبه ودونه، وتقصى الأخبار والحوادث التي جرت في عهده .

مشكلة البحث

تناولت العديد من الدراسات والندوات والمؤتمرات المهمة - المحلية أو الدولية- بتاريخ اليمن الحديث والمعاصر خلال الفترة التي عاشها المؤرخ الواسعي، إلا أن تلك الندوات والمؤتمرات لم تتطرق بشكل دقيق للحديث عن المؤرخين اليمنيين في فترة تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ولهذا يحاول البحث الإجابة على التساؤلات الآتية :

من هو عبدالواسع الواسعي؟ من هي أسرته؟ وكيف كانت نشأته وتعليمه؟ ورحلاته؟ ما الوظائف التي تقلدها؟ واهتمامه بالعلم، مؤلفاته، هل تحدث عن الفترة الزمنية الهامة من تاريخ اليمن الحديث والمعاصر؟ ماهي أبرز الملامح السياسية والاجتماعية والثقافية لهذه الفترة؟.

منهجية البحث

سوف تعتمد دراسة البحث المنهج التاريخي التحليلي .

تمهيد:

إن أي قارئ، وباحث في تاريخ اليمن لا يستطيع أن ينكر الأهمية البالغة لكتاب فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن، للمؤرخ عبدالواسع الواسعي، والذي كان مرآة صادقة عكست صورة عصره، من كل نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية، إلى جانب اهتمامه بالعصور السابقة له سياسياً، لذا قامت الباحثة بإجراء دراسة تحليلية لهذا الكتاب، لإبراز نموذج لأهم الكتب التي تناولت تاريخ اليمن من كل جوانبه.

أولاً: ترجمة المؤرخ عبدالواسع بن يحيى الواسعي

نسبه ومولده:

هو القاضي العلامة الرحالة عبدالواسع بن يحيى بن حسين بن عبدالله بن ناصر بن جابر الواسعي، الصنعاني، ولد بصنعاء في شهر جمادي الأولى سنة 1295هـ/ 1878 م⁽¹⁾

نشأته وتعليمه:

(1) إسماعيل بن علي الأكوخ: هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1995م، ج3، ص1675.

نشأ وترعرع في أسرة اهتمت بالعلم، ولا شك أن بيت العلم قد ترك أثراً واضحاً على مؤرخنا، ونشأته وتعليمه، إلى جانب أنه نشأ في مدينة العلم والعلماء صنعاء. أما العامل الثاني الذي أثر في علمه وثقافته فهو مشائخه، الذين تلقى العلم على أيديهم، حيث تلقى العلم على أيدي أشهر علماء عصره، إلى جانب اهتمامه هو بالعلم، والسعي لحصوله على كثير من الإجازات، كما سنرى. تلقى مؤرخنا العلم منذ كان صبياً، وحفظ القرآن الكريم، والقراءات السبع، والتفسير، وحفظ المتون عن ظهر قلب، في مختلف الفنون، درس في الجامع الكبير بصنعاء وزيد، في علم أصول الفقه، والمعاني، والبيان، والبلاغة وكتب السنن، وعلم الحساب والفلك، على يد عدد من مشائخ العلم في اليمن⁽¹⁾ لعل أهمهم: العلامة محمد بن أحمد العراسي، والقاضي العلامة محمد بن عبدالله الغالبي، والعلامة حمود بن محمد شرف الدين، وغيرهم كثير⁽²⁾.

وعندما رحل إلى مكة للحج سنة 1329هـ أخذ عن علمائها بالحرمين الشريفين، وكانوا حوالي ستة عشر عالماً، منهم: العلامة حسين بن محمد الحبشي، والعلامة أحمد بن عبدالله الخطيب وغيرهم⁽³⁾.

أما مشائخه في بلاد الشام والمغرب العربي ومصر فقد بلغ عددهم تسعة عشر شيخاً، في مقدمتهم الشيخ بدر الدين الحسني، ويطلق عليه علامة الدنيا، ومن العراق إبراهيم الرفاعي، ومن إيران شهاب الدين النجفي⁽⁴⁾.

أما الإجازات، فقد نال المؤرخ العديد منها، ومن علماء اليمنيين بارزين في عصره، كذلك من أقطار مختلفة من العالم العربي والإسلامي، منهم على سبيل المثال: العلامة أحمد بن زيد الكبسي، كما أجازته كل من القاضي العلامة علي بن حسين المغربي، والقاضي المولى الحسين بن علي العمري فيما شمله كتاب الإتحاف، لشيخ الإسلام الشوكاني، وغيره من كتب الإسناد⁽⁵⁾. وأجازته القاضي

(1) محمد بن محمد زبارة: نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، 1979م، ج1، ص410.

(2) مقدمة كتاب فرجة الهموم والحزن، ص، ه؛ زبارة: نزهة النظر، ج1، ص410.

(3) مقدمة كتاب فرجة الهموم، ص: و.

(4) مقدمة كتاب فرجة الهموم، ص: و- ز.

(5) زيارة: المصدر السابق، نفس الجزء.

العلامة عبدالله الغالبي، والشيخ أحمد خطيب بن عبداللطيف الشافعي إجازة عامة، وغيرهم كثير، ذكرهم المؤرخ بالتفصيل في كتابه "الدر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد"⁽¹⁾.
وأصبح مؤرخنا عالماً في الفقه والفرائض وعلوم العربية وعلم الفلك، وله مشاركة في علم الحديث⁽²⁾.

كما تعلم مؤرخنا بعضاً من اللغة التركية في صنعاء، في مدرسة لتعليم اللغة التركية للعلماء والمتعلمين عام 1315هـ / 1897م عندما طلبت الحكومة التركية في صنعاء أساتذة لتعلم اللغة التركية، وكان الواسعي لا زال في ريعان شبابه يدرس صغار الكتب بصنعاء، فأصبح من جملة من دخل هذه المدرسة، ونال شهادة بذلك⁽³⁾.
أسرته:

ذكر القاضي إسماعيل الأكوغ في كتابه (هجر العلم) أن أصل آل الواسعي من (القحطحة) قرية عامرة في مخلاف بين قُشيب من ناحية جبل الشرق من أعمال قضاء آنس. وأنس معروف عنها أنه اشتهر بها عدد من بيوت العلم وحملته، منهم على سبيل المثال: بيت الغشم، وبيت العنسي، وبيت الحماطي⁽⁴⁾، وبيت الواسعي، أسرة مؤرخنا. وكان من هذه الأسرة علماء وحكام، وخطباء جوامع في ناحية جبل الشرق والجمعة بآنس. أما والد مؤرخنا، يحيى بن حسين الواسعي، فهو عالم فاضل، له كثير من المؤلفات⁽⁵⁾.
الوظائف التي تقلدها:

يتضح اهتمام المؤرخ الواسعي بالعلم من خلال الوظائف التي تقلدها، إذ تدور كلها حول العلم والتعليم، ومن تلك الوظائف أنه عُين مديراً لدار العلوم بصنعاء، لوضع سنوات، تخرج على يديه الرعيل الأول من العلماء، وقد أشار المؤرخ إلى هذه الدار في كتابه هذا، فذكر أن الإمام

(1) الأكوغ: هجر العلم، ج3، ص1675، زيارة: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(2) الأكوغ: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(3) مقدمة كتاب فرجة الهموم، ص: ح - ط .

(4) الأكوغ: هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج3، ص1674.

(5) عبدالواسع بن يحيى الواسعي، فرجة الهموم والحزن في تاريخ اليمن، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 2007م، ص52. وسنشير إليه بعد ذلك بكلمة النص، أو نص الكتاب.

يحيى أسس في صنعاء داراً للعلماء والمتعلمين، ومن أخذ الشهادة أرسل معلماً في إحدى القرى، وقد تخرج منها عدد كثير⁽¹⁾. وتولى مؤرخنا عمالة أوقاف زبيد لفترة قصيرة، ثم طلب من الإمام يحيى إقالته من هذه الوظيفة، ليتفرغ لخدمة العلم، فكان يرفض تولي الوظائف، رغم محاولة الإمام يحيى، خاصة القضاء، لكنه رفض كل ذلك، عدى مهنة التدريس⁽²⁾. وقد تولى التدريس في الجامع الكبير بصنعاء، وفي المدرسة العلمية وكان له دكان في سوق النحاس يبيع فيه كتبه وكتباً أخرى⁽³⁾.

رحلاته وطبعه لبعض كتب التراث:

قبل أن نذكر رحلات المؤرخ الواسعي إلى الأقطار العربية والإسلامية لا بد أن نشير إلى تجواله وتنقلاته في كثير من مناطق اليمن المختلفة، وقد أشار المؤرخ إلى بعض منها في كتابه هذا ومما لا شك فيه أنه لم يذكر جميع المناطق اليمنية، التي زارها؛ لأنه كان يشير عرضاً إلى بعض منها عند وصفه لها في هذا الكتاب، إذا أتت مناسبة لذكر ذلك، فنجد على سبيل المثال عند وصفه لمدينة عدن يقول: "إذ ترى فيها العربي والهندي والفارسي والحشي والصومالي"⁽⁴⁾ وعندما تناول جزيرة ميون بالشرح الطويل، قال: "وقد مررت بها مراراً عديدة"⁽⁵⁾.

ولعل المؤرخ الواسعي كان يدون ملاحظاته على بعض المناطق أثناء زيارته لها، ثم أثبت ما رآه مناسباً في هذا الكتاب، فنجد على سبيل المثال عند أن زار شمال عسير في شمال اليمن ومرر بقبيلة ثقيف هناك يقول: "ولقد وصلت إلى هذه القبيلة في بعض السنين، ووجدت أطفالاً يلعبون"⁽⁶⁾ ويشرح كيف يتكلمون اللغة العربية الفصحى، ثم ماذا دار بينه وبين امرأة من نفس القبيلة، وكيف تتكلم باللغة العربية الفصحى⁽⁷⁾.

(1) النص، ص 25.

(2) مقدمة كتاب فرجة الهموم، ص: ح.

(3) الأكوغ: هجر العلم، ج 3، ص 1675.

(4) النص، ص 66.

(5) النص، ص 85.

(6) النص، ص 25.

(7) النص، الصفحة السابقة.

وعند وصفه للمنتجات الزراعية في اليمن، يذكر عرضاً أنه زار مدينة لحج وكذلك الحديدية، فيقول: "ورأيت بلحج والحديدة فواكه في الحجم أصغر، ولم أر مثلها بمصر والشام"⁽¹⁾. وعند تناوله لبعض الأشجار النادرة في اليمن كاللبان المر والمصطكى يقول: "شجر رأيته في غمدان، شمال عسير"⁽²⁾. والأمثلة كثيرة، جميعها تدل على أن المؤرخ زار مناطق كثيرة في اليمن شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً، وقد اقتصرنا على بعض من هذه الأمثلة، خشية الإطالة. أما رحلاته وزياراته لبعض الأقطار العربية والإسلامية فقد شملت الحجاز ومصر والشام، كذلك الهند والسند وتركيا وجاوة وسنغافورة⁽³⁾. وعند أن كان مؤرخنا في دمشق قامت الحرب العالمية الأولى سنة 1914م، فلم يتمكن من العودة لليمن، واضطر للإقامة فيها خمس سنوات، تزوج هناك، وأنجب أبنة محمد الأصغر⁽⁴⁾، كما تزوج في مصر، وأنجب أبنة الطبيب الدكتور محمد كامل عبدالواسع الواسعي⁽⁵⁾.

وقد عكف المؤرخ الواسعي على جمع بعض الكتب اليمنية المخطوطة وسافر إلى القاهرة لطبعها، وتردد مراراً إلى القاهرة من أجل طبعتها، فملاً خزائن ومكتبات اليمن بالكتب القيمة، وأصبحت ميسورة لطلاب العلم. ويذكر القاضي إسماعيل الأكوخ بأن للواسعي والمؤرخ محمد بن محمد زبارة الفضل في نشر بعض الكتب اليمنية⁽⁶⁾. ولقد مدح المؤرخ محمد زبارة مؤرخنا الواسعي وشكر سعيه في طباعة كثير من الكتب اليمنية⁽⁷⁾، فيما ذكر الأكوخ أنه طبع متن "الأزهار في فقه الأئمة الأطهار" للإمام أحمد بن يحيى المرتضى، وشرحه لابن مفتاح. وطبع مؤلفاته جميعها، ومنها كتابه "فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن"⁽⁸⁾.

وفاته

(1) النص، ص 142.

(2) النص، الصفحة السابقة.

(3) مقدمة كتاب فرجة الهموم، ص: ز.

(4) ذكر الدكتور حسين العمري بأن ابنه الذي أنجبه في دمشق أسمه الحاج سعيد دمشقي (الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1412هـ/1992م، مج2، ص635).

(5) د. حسين بن عبدالله العمري: الموسوعة اليمنية، نفس الجزء والصفحة.

(6) الأكوخ: هجر العلم، ج3، ص1675.

(7) زبارة: نزهة النظر، ج1، ص411.

(8) الأكوخ: المرجع السابق، الصفحة السابقة.

توفي المؤرخ عبدالواسع بن يحيى الواسعي في صنعاء، يوم الجمعة 10 رجب سنة 1379هـ/1959م بعد حياة حافلة بالعلم والعطاء عن عمر ناهز 84 عاماً، وصُلي عليه في الحرم المكي صلاة الغائب عندما علموا بوفاته، ووصلت التعازي من بعض الملوك والرؤساء، منهم الرئيس جمال عبدالناصر، ومن كبار العلماء في الداخل والخارج⁽¹⁾.

مؤلفات المؤرخ عبدالواسع بن يحيى الواسعي

أما مؤلفاته فقد ذكرها ابنه أحمد في قصيدة نشرها في إحدى مؤلفات المؤرخ منها إحدى عشر مؤلفاً مطبوعاً، وعشرة مؤلفات ذكر أنها لم تُطبع بعد فمجموع مؤلفاته واحد وعشرين مؤلفاً، منها:

- 1- إيقاظ ذوي الألباب في ذم التبرج وكشف النقاب.
- 2- البدر المزيل للحزن في فضائل اليمن ومحاسن صنعاء ذات المنن.
- 3- الدر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد، وقد قرضه الأمير شكيب أرسلان، البيت الأول

منه:

- هذا كتاب مفرد درسه يلذ للقارئ والسامع⁽²⁾
- 4- الدرر المرصيات في المعربات والمبنيات.
- 5- زهر الزهور في معرفة الساعات والشهور.
- 6- فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن.
- 7- القول الأرشد في الحمد والبسملة والقول الأسد.
- 8- كنز الثقات في علم الأوقات.
- 9- لطف الإيناس في النصيحة وكيفية المعاملة مع الناس.
- 10- المختصر في ترغيب وترهيب حديث سيد البشر.
- 11- نفع الطلاب في علم الحساب⁽¹⁾.

(1) مقدمة كتاب فرجة الهموم، ص:ع.

(2) زيارة: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

ثانياً: أهمية الكتاب

- تأتي أهمية كتاب "فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن" من أهمية علم التاريخ، وهو ما أكد عليه مؤرخنا الواسعي في كتابه هذا، حيث أشار إلى أن علم التاريخ "علم جليل المقدار، شهدت بفضل الآيات والأخبار، واعتنى بنقله الإثبات والأخبار، وأنفقوا في ذلك نفائس الأعمار"⁽²⁾

- والكتاب الذي بين أيدينا هو من الكتب المهمة التي تناولت تاريخ اليمن، وعلى وجه الخصوص الفترة التي عاصرها المؤرخ، ولعل تكرار طباعته يبين لنا مدى أهميته، إذ أنه إلى سنة 2006م قد طبع للمرة الخامسة، كما أنه طبع مرتين في عصر المؤرخ⁽³⁾.

- ومما لا شك فيه أن أهمية الكتاب وما تناوله من مواضيع تأتي من أن المؤرخ كان معاصراً لمعظم أو لكثير من الأحداث التي وردت في الكتاب، إذ لا يخلو كتابه من قوله: شاهدت، سمعت، أخبرني فلان، قرأت في صحيفة...، لذا يعتبر شاهد عيان لكثير من الأحداث.

- وعلى الرغم من أن المؤرخ قد دون في كتابه بعضاً من تاريخ اليمن القديم وكذلك الإسلامي، غير أن ما اهتم به هو التاريخ الحديث، أما التاريخ المعاصر فقد أولاه جل اهتمامه، فقد رسم لنا صورة تكاد تكون واضحة عن المجتمع الصنعاني على وجه الخصوص، وبعضاً من الصور عند بقية المجتمع اليمني بشكل عام، فكان الكتاب مرآة صادقة تعكس عصر المؤرخ.

- أما الأهمية الأخرى للكتاب فتأتي من أن المؤرخ قد جمع بين دفتي كتابه عدداً من المواضيع، فاشتمل على مواضيع تاريخية، وحضارية وجغرافية، وظواهر طبيعية، وأوضاع اقتصادية وسياسية واجتماعية، ستتضح جميعها عند أن نتناول محتويات الكتاب.

- وما زاد من أهمية هذا الكتاب أن المؤرخ الواسعي أورد الكثير من نصوص بعض الرسائل في عهد الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين وابنه الإمام يحيى، كما أورد كثيراً من

(1) الأكوغ، المرجع السابق، ج3، ص1676؛ زيارة: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة، الزركلي، الأعلام، مج4، ص178.

(2) النص، ص5.

(3) النص، ص6.

نصوص المعاهدات والاتفاقيات التي تمت بين اليمن والدول الشقيقة والصديقة في عهد الإمام يحيى حميد الدين، وخطب بعض علماء عصره، وهذا يعد توثيقاً لأسلوب الكتابة وتطور اللغة العربية من خلال تلك النصوص.

وقد استعان المؤرخ ببعض الصحف التركية والمصرية إلى جانب اليمنية، والتي كانت مصدراً مهماً لتوثيق بعض الأحداث في عصره، لعل أهمها: جريدة الإيوان الصناعية، وجريدة طنين التركية، والأهرام والبلاغ المصريتين، واللواء المقدسية وغيرها. ولعل تنقله بين كثير من بلدان العالم العربي والإسلامي قد أتاح له الاطلاع على كثير من الصحف العربية، والبعض منها كان يحصل عليها في اليمن كما أشار هو في كتابه هذا.

- ومن الأهمية بمكان أن نذكر بأن المؤرخ قد حرص على الضبط والتوقيت لكثير من الأحداث، خاصة خلال الفترة القريبة من عصره، حيث كان يوثق تلك الأحداث بالشهر والعام. أما الأحداث التي عاصرها - وهي كثيرة - فكان يوثقها باليوم والشهر والعام.

- وعلى الرغم من أن المؤرخ كان قد أورد كثيراً من الإيجابيات في عصر الإمام المنصور محمد وابنه الإمام يحيى حميد الدين، إلا أن كتابه لا يخلو من النقد، لبعض من سياسة الإمام، فنجدته مثلاً ينتقد الإمام يحيى بأنه لم يعامل الرعية في صنعاء وبقية أنحاء اليمن بنفس ما يعامل به مشائخ الضالع، حيث أغدق عليهم منعاً للرشوة، فيقول: "ولو أنه أغدق على العمال والحكام لكان استطاع أن يمنعهم من الرشوة، التي هي سبب خراب البلاد وهلاك العباد"⁽¹⁾، فكان المؤرخ ينتقد ويمدح، يورد السلبيات والإيجابيات، ولا شك أن الموضوعية التي أتصف بها المؤرخ زادت من أهمية هذا الكتاب، وقد أكد في كتابه هذا أنه يجب على المؤرخ أن يتحرى الحقيقة، ولا ينحاز إلى أي طرف، حيث قال: "والواجب علينا أن نذكر الحقائق، لأن التاريخ مرآة الحقيقة، ولا يكون المؤرخ متحزباً لجانِب، فهو كالميزان"⁽²⁾. كما أنه أورد سلبيات وإيجابيات كثيراً من الولاة العثمانيين، الذين حكموا اليمن، والكتاب مليء بالأمثلة.

(1) النص، ص 74.

(2) النص، ص 120.

- لقد وثق المؤرخ للموروث الحضاري في عصره، كذلك لكثير من المصطلحات اليمنية، التي كان يتداولها المجتمع اليمني عامة، والمجتمع الصناعي بشكل خاص، وفي كثير من نواحي الحياة، سواء في العادات والتقاليد، أم الملابس، أم أدوات الزينة، وأسماء كثيراً من المزروعات والأكلات اليمنية، ومقارنة كثيراً مما سبق بمثيلاتها في بلاد الشام ومصر والعراق. كما أهتم المؤرخ بقبائل اليمن والقصور القديمة، ومدنه وسهوله وجباله ووديانه ومعادنه، وصناعاته، بينما نجد كثيراً من المؤرخين المعاصرين للواسعي انصب اهتمامهم على الأوضاع السياسية والتراجم أكثر من الأوضاع الأخرى⁽¹⁾.

ثالثاً: منهج المؤرخ وأسلوبه:

إن وجود عدد غير قليل من المؤرخين اليمنيين في القرن الرابع عشر الهجري / النصف الأول من القرن العشرين يعد عاملاً مهماً في إثراء المكتبات اليمنية، والعربية والعالمية بالمؤلفات التاريخية القيمة، والتي يتضح من خلالها المنهج العام لكتابة التاريخ في تلك الفترة، فالمهتم بما كُتب عن تاريخ اليمن الحديث والمعاصر يجد أن المؤرخين اليمنيين كانوا ينتمون إلى ما يمكن أن نسميه مدرسة التاريخ الإسلامي العامة، فالمدرسة اليمنية جزء من مدرسة التاريخ الإسلامي وامتداد لها، حيث التزم هؤلاء المؤرخون بالمنهج العلمي الذي سارت عليه كتابة التاريخ في العصور الإسلامية⁽²⁾.

ما يمكن الإشارة إليه بداية هو أن المؤرخ الواسعي قد حرص في كتابه هذا على إظهار العظمة والاعتبار في كثير مما أورده من أحداث ومواضيع سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها، أو من خلال بعض الظواهر الطبيعية، فكان يربط بين كثير من تلك الأحداث وبين العظمة والاعتبار. وقد أكد المؤرخ الواسعي على العظمة والاعتبار قبل أن يبدأ فصول هذا الكتاب، وهو يتكلم عن علم التاريخ في المقدمة، فيصفه بأنه "يطلع به العاقل على ما مر من الإعصار، فيزيده من الكياسة

(1) انظر على سبيل المثال: كتب المؤرخ محمد زيارة: نزهة النظر، وأمة اليمن، ونيل الوطر؛ وكتاب الشماحي: اليمن الإنسان والحضارة، وكتاب أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، وغيرها كثير.
(2) د. سيد مصطفى سالم: المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول، المطبعة العالمية، القاهرة، 1971م، ص 18.

والاستبصار، بما حدث للأمم الماضية من الحوادث عظيمة واعتباراً⁽¹⁾ وفي تعريف آخر لعلم التاريخ يؤكد مؤرخنا أيضاً على العظمة والاعتبار فيقول: "أعلم أن التاريخ علم يُعرف به أحوال الماضين، وموضوعه أخبار السابقين، وثمرته الاتعاض، وكبح النفوس من الاغترار بزهرة الدنيا، والنظر بتقلب أحوالها⁽²⁾. وقد استدل على ذلك بآيات من القرآن الكريم وأقوال بعض العلماء والشعراء⁽³⁾.

- وضع المؤرخ فهرساً في أول الكتاب، وقبل أن يكتب الفهرس ذكر أنه "عند إعادة طبع هذا الكتاب ضمنت إليه فوائد، ويشتمل مع المزيد فيه على اثنين وعشرين فصلاً⁽⁴⁾"، والطبعة الأولى تختلف عن هذه الطبعة من حيث تقسيم الفصول، فنجد في هذه الطبعة يقدم فصولاً ويؤخر أخرى، مع بعض الإضافات، وقد أورد المؤرخ تقسيم الطبعة الأولى وفصولها في مقدمة هذه الطبعة. وبهذا يكون المؤرخ قد قسم الكتاب إلى فصول، وأفرد لكل فصل عدداً من العناوين، ولا شك أن هذا فيه إفادة وتسهيل للقارئ، لكنه أحياناً كان يكثر من كتابة العناوين، بحيث أنه أحياناً كان يكتب ثلاثة أو أربعة عناوين في صفحة واحدة. كما أنه يوجد فصول قصيرة جداً، لا تتجاوز أحياناً الصفحة أو نصف صفحة، بينما -غالباً- كانت بعض الفصول عدد صفحاتها متوسطة، وبعضاً من الفصول عدد صفحاتها طويلة، وواحد من هذه الفصول طويل جداً، حيث اختصر المؤرخ تاريخ اليمن الإسلامي والحديث والمعاصر في الفصل العشرين، في حوالي 181 صفحة من هذا الكتاب.

- اتبع المؤرخ الواسعي من الفصل الأول إلى الفصل التاسع عشر منهج أو أسلوب المواضيع، بمعنى أنه لم يهتم بالتسلسل الزمني، بل أفرد في كثير من الفصول مواضيع حضارية، وجغرافية، واقتصادية، واجتماعية، وسكانية، وأثرية، فكتب عن قبائل اليمن وقصورها، وعدد سكانها، ومدنها، وجبالها ومعادنها، والعادات والتقاليد، والزراعة، وصناعاتها وصادراتها

(1) النص، ص 5.

(2) النص، ص 7.

(3) النص، ص 7-8.

(4) النص، ص 8.

...الخ. ومن الفصل التاسع عشر، الذي هو لم يتجاوز الصفحة والنصف كان "في التاريخ النبوي وذكر الغزوات المشهورة على جهة الاختصار" وكأنه مقدمة للفصل الذي يليه، الفصل العشرون، حيث بدأ المؤرخ في هذا الفصل يكتب بالتسلسل الزمني لأهم الأحداث في اليمن منذ عصر الخلفاء الراشدين إلى وفاة الإمام يحيى حميد الدين وتولي ابنه أحمد الإمامة من بعده، فعلى الرغم أنه كان يكتب عناوين في هذا الفصل، لكنها عناوين متتابعة زمنياً، ومن النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري بدأ يكتب بمنهج الحوليات، بحيث كان يبدأ الحدث بقوله: ودخلت سنة 1266هـ/1850م⁽¹⁾ أو في سنة 1263هـ/1847م⁽²⁾، وكلما اقتربت الأحداث من عصر المؤرخ، أو أصبح معاصراً لها دون تلك الأحداث ليس بالسنين فحسب، بل باليوم والشهر، فنجدته مثلاً في أحداث سنة 1328هـ/1910م يقول: "ودخلت سنة 1328هـ وفيها عزل الوالي حسن تحسين، وعين والياً كامل بك متصرف تعز، وصل صنعاء في 17 شهر صفر يوم الأربعاء عقيب الظهر"⁽³⁾.

- لم يكتب المؤرخ الواسعي بسرد وقائع وأحداث فقط، بل نجده يشرح ويحلل ويفسر ويتتقد، فنجد على سبيل المثال ينتقد من يقول بأن عدد سكان اليمن في عهده خمسة مليون نسمة، ويفند سبب انتقاده، فيقول: "والعجب ثم العجب من يقلد قائلاً مجهولاً أن جميع نفوس اليمن خمسة مليون، فيكون عدد نفوس القبائل التهامية المحصاة هنا فقط أربعة ملايين وسبعمئة ألف واثنى عشر ألفاً، وهناك قبائل كثيرة لم نذكر أسماءها"⁽⁴⁾.

- كما أن المؤرخ الواسعي لم يترجم للعلماء والشخصيات البارزة في عصره، على الرغم من أنه كان منهجاً سائداً حينذاك لدى كثير من المؤرخين. وقد برر لنا السبب في ذلك، حيث أشار في كتابه هذا بأنه كان قد ضمّن كتابه هذا تراجم لعلماء عصره، لكنه عند أن وجد أن العلامة محمد بن محمد زبارة يكتب في التراجم: "فأرسلت له ما كنت جمعته وجردت كتابي هذا من التراجم،

(1) النص، ص 217.

(2) النص، ص 214.

(3) النص، ص 280.

(4) النص، ص 116.

لأنها صارت في مؤلف مخصوص، جعله السيد محمد زبارة ذيلًا لنفحات العنبر في رجال القرن الثاني عشر للمؤرخ الحوثي⁽¹⁾. وإذا كان قد ترجم لعدد قليل جداً من علماء عصره فلم ينس أن يوضح المبرر لذلك، ويذكر القارئ أنه سبق أن أشار إلى أنه لن يهتم بالتراجم، فنجدته على سبيل المثال عندما ترجم لعدد من العلماء عند وفاتهم، حوالي أربعة عشر عالماً جمعهم تحت عنوان واحد، كانت وفاتهم بين عامي 1360 إلى 1367هـ وذكر أن للوفيات كتاب مستقل "إنها ذكرت هؤلاء لعلو درجاتهم في العلم"⁽²⁾

- ترجم المؤرخ الواسعي لنفسه أحياناً، وباقتضاب شديد، فنجدته مثلاً عندما كتب عن جريدة المؤيد يقول: "وهذه أول جريدة مصرية وصلت إليّ وقرأتها"⁽³⁾. وفي مناسبة أخرى يذكر بأنه سافر إلى مكة لأداء فريضة الحج، أو أنه خطب بعد صلاة الظهر في الناس في الجامع الكبير بصنعاء بعد صلح دعان، ذكر مضمون خطبته، أو أنه بلغه استشهاد الإمام يحيى حميد الدين وهو في مصر، وهكذا يكتب مقتطفات عن نفسه إذا أتت مناسبة لذلك.

- على الرغم من أن المؤرخ الواسعي قد كتب عن تاريخ اليمن القديم والإسلامي والحديث، إلا أنه لم يوثق إلا لبعض المصادر التي أعتمد عليها، ولم يذكر جميعها أو معظمها، ومن تلك المصادر التي ذكرها المؤرخ: الإكليل، وصفة جزيرة العرب للهمداني، وصبح الأعشى للقلقشندي، وفي الفترة التي عاصرها المؤرخ أورد لنا بعضاً من الكتب التي اعتمد عليها مثل: ملوك العرب لأمين الريحاني، ورحلة في بلاد العربية السعيدة لنزيه مؤيد العظم، وإتحاف المسترشدين بذكر الأئمة المجددين لمحمد زبارة، وغيرها من الكتب السابقة للمؤرخ والمعاصرة له، لكنه عند أن يذكر أسم المصدر الذي اعتمد عليه عند تدوينه لحدث ما كان غالباً يحرص على أن يكتب رقم الصفحة والجزء إن وجد. وأحياناً لا يذكر ذلك، لأنه لخص من كتاب كامل فصلاً

(1) نص الكتاب، ص 262.

(2) النص، ص 328.

(3) النص، ص 279.

من فصول كتابه، فمثلاً نجد أنه كتب عن حضر موت يقول: "لخصنا هذا الفصل عن تاريخ حضر موت السياسي، لصلاح البكري بالجامعة المصرية، المطبوع سنة 1354هـ/1935م"⁽¹⁾

- لقد انصب اهتمام المؤرخ على تاريخ اليمن، لكن هذا لا يعني أنه لم يهتم ببعض الأحداث المهمة التي كانت تصل إليه عن بعض أقطار العالم، وعلى وجه الخصوص الأحداث التي كانت تُنشر في بعض الصحف التركية والمصرية، وكانت تلفت انتباه المؤرخ، فدونها في كتابه، من ذلك على سبيل المثال قوله: "ومن الأخبار العظيمة ما ذكرته جرائد الأستانة أن جبلاً عظيماً في أمريكا تحرك ومشى وأهلك نفوساً"⁽²⁾، أو يقول: "وفي هذه السنة في هذا الشهر وقعت زلزلة في بلاد اليونان أهلكت ثلاثمائة نفس وأخربت أربعمائة بيت"⁽³⁾. كما اهتم بذكر خلع السلطان عبدالحميد الثاني ونفيه والسبب في ذلك، وغيرها من أحداث العالم التي وجدها المؤرخ مهمة ودونها في كتابه.

- شرح المؤرخ الواسعي في الهامش لبعض المصطلحات التي كانت ترد في المتن، كذلك لبعض المواقع، أو بعض الأحداث التاريخية، أو المقارنة بين ما يذكره في المتن من أحداث وما يشابهها في الماضي.⁽⁴⁾

- اتبع المؤرخ أحياناً أسلوب الاستطراد والخروج عن الموضوع الرئيسي، الذي يكتب عنه بهدف مقارنته بما حدث في الماضي، فنجد مثلاً عندما ذكر ما حدث لمحمد بن عايش، أمير عسير سنة 1285هـ/1868م من غدر وخيانة من قبل العثمانيين، يعود بنا إلى النصف الأول من القرن السادس عشر، ويشرح ما حدث لحاكم عدن وحاكم المخا من غدر وخيانة من العثمانيين أيضاً. وبالرغم من أن العنوان عسير، إلا أن المؤرخ يستطرد، ويشرح سياسة الوالي العثماني أحمد مختار باشا في مناخه⁽⁵⁾ وأحياناً أخرى نجد العنوان في موضوع معين بينما في المضمون يخرج المؤرخ عن

(1) النص، ص 60.

(2) النص، ص 256.

(3) النص، ص 279.

(4) هناك الكثير من الأمثلة، أنظر على سبيل المثال، النص، هامش ص 54، 242، 288 وغيرها كثير.

(5) النص، ص 108-109.

العنوان، فوجد مثلاً العنوان (اللهو واللعب) وكتب المؤرخ عنه ما لا يزيد عن ثلاثة أسطر، ثم خرج عن الموضوع وأخذ يشرح تعليق "الكرمي" على بعض ألفاظ مؤرخنا في كتابه "فرجة الهموم" هذا، أورد فيها الكثير من المصطلحات اليمنية في لهجة صنعاء غالباً، ومقارنتها بمصطلحات في بلاد الشام والعراق.

- استخدم المؤرخ الواسعي منهج الإحالات، بمعنى أنه كان أحياناً يحيل القارئ إلى تفاصيل سبق أن شرحها عن موضوع ما، اضطر إلى ذكره مرة أخرى، فنجد على سبيل المثال عندما كتب عن الصناعة في اليمن، أنهى ما كتبه بقوله: "وقد ذكرت المدن التي تصنع فيها النسيج في صفحة 35 في الفصل التاسع"⁽¹⁾.

- اختصر المؤرخ الأحداث في السنوات الأخيرة، فكان أحياناً يكتب أحداث ثلاث أو أربع سنوات في صفحة واحدة. وكان يكتفي بذكر حدث واحد في تلك السنة، ويورده مختصراً. وقد اعتذر في نهاية كتابه أنه ربما توجد بعض أحداث لم يذكرها في كتابه، مبرراً ذلك بقوله: "وعدم ذكري لها لعدم العلم بها، وفوق كل ذي علم عليم"⁽²⁾.

- وضع المؤرخ بعض الجداول التوضيحية، منها: جدولاً لأسماء السلاطين والمشائخ في المحميات في جنوب اليمن، الذين كانوا يستلمون مرتبات من البريطانيين والمبالغ التي كانوا يستلمونها⁽³⁾. وجدولاً آخر وضع فيه أسماء بعض قبائل تهامة، وعدد سكان كل قبيلة، مرتبة حسب حروف المعجم، "ليسهل الوقوف عليها حينما يحتاج القارئ إلى مراجعتها وتعداد نفوسها"⁽⁴⁾. كما نشر في كتابه العديد من الصور عن بعض مدن اليمن وجوامعها وأهم المباني فيها، وأثبت بعض الصور في متن الكتاب، والبعض الآخر وضعها في ملاحق الكتاب. بالإضافة إلى خريطة لليمن، كتب فيها: تأليف الشيخ عبد الواسع الواسعي.

(1) النص، ص 143.

(2) النص، ص

(3) النص، ص 73-74.

(4) النص، ص 111.

- بعد أن أنهى الكتاب كاملاً بملاحقه أضاف إليه ملحقاً جديداً. وقد برر المؤرخ سبب كتابته للملحق أنه لما انتهى من طبع الكتاب استشهد الإمام يحيى حميد الدين، وحدثت أحداث هامة بعد اغتياله، لهذا وضع هذا الملحق، وقسمه المؤرخ إلى ستة أقسام.

- أما أسلوب المؤرخ الواسعي في كتابته للأحداث فقد تميز بالسهولة والوضوح، فكان في كثير من الأحيان يستخدم الكلمات والعبارات المفهومة البسيطة، فقد ابتعد المؤرخ عن السجع المتكلف في اللفظ، والذي - غالباً - أفسد المعنى لدى كثير من المؤرخين. وقد أشار المؤرخ إلى ذلك عندما انتقد لغة الإنشاء في اليمن، في عصره، فلم يشكك في صحتها من حيث اللغة، لكنه رأى أن أسلوبها أسلوب العصور الوسطى، وليس فيها السلاسة الموجودة "في أساليب العصريين من أهل مصر وسوريا ولبنان والعراق"⁽¹⁾ والسبب من وجهة نظره أنهم يهتمون بالسجع، وهو مُمل بسبب التكليف، وذكر أنه إن ورد في كتابه سجع فهو فقط عندما ينقل من كلام أصحابها. "والنقل أمانة ملاحظة على لفظ القائل"⁽²⁾

محتويات الكتاب:

سبق أن نوهنا أن المؤرخ عبدالواسع الواسعي كان يتمتع بثقافة عالية، وكان واسع الاطلاع في مختلف العلوم المتداولة في عصره، اتضح هذا في كتابه "فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن" الذي يعد موسوعة - إن جاز التعبير - سجل فيه كل ما شاهد أو سمع أو قرأ من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية وجغرافية وعلمية وظواهر طبيعية، فهو لم يتابع خطأً تاريخياً واحداً، بل رسم إطاراً واسعاً، فاحتوى كتابه على الكثير من المواضيع سواءً في الجانب السياسي، أو الجوانب الأخرى السابق ذكرها، وسنفرد لكل وضع عنوان مستقل.

(1) النص، ص 135.

(2) النص، الصفحة السابقة.

أولاً: الأوضاع السياسية:

إذا تناولنا الأوضاع السياسية سنجد أن المؤرخ الواسعي قد دون أهم الأحداث السياسية من وجهة نظره، وأفرد لها حيزاً من الفصول والعناوين في التاريخ القديم والإسلامي والحديث والمعاصر.

أ- التاريخ القديم:

مما هو جدير بالذكر أن المؤرخ لم يهتم بتاريخ اليمن القديم كثيراً وأفرد له فصلاً واحداً فقط عنوانه: "في ذكر طرف من التاريخ الحميري قبل الإسلام" وقسمه إلى أربعة أمم، حسب تعبيره. وأورد نبذة مختصرة جداً عن الدول التي حكمت اليمن في التاريخ القديم وهي الدولة المناوية (المعينية) والدولة السبئية، والدولة القتبانية، والدولة الحضرية. ثم أفرد عنواناً هو (انتهاء استقلال اليمن) تناول فيه احتلال اليمن من قبل الأحباش وكذلك الفرس، إلى أن انتشر الإسلام في اليمن. وفي الفصل العاشر الذي عنوانه (في ذكر حضرموت) اقتصر المؤرخ - فيما يخص التاريخ القديم - على سبب تسمية حضرموت، واسمها قديماً، وأن الحميريين قد تغلبوا على حضرموت، واستولوا عليها، وحكموا ريدان وسبأ، وأفرد المؤرخ جدولاً بأسماء ستة من ملوكهم، ومدة حكم كل ملك منهم.

ب- التاريخ الإسلامي:

بدأ المؤرخ التاريخ الإسلامي لليمن من الفصل السابع الذي عنوانه (في تسمية اليمن وفضله وطوله وعرضه وحدوده) وقد اهتم بإيراد كثير من الأحاديث النبوية في فضل اليمن. وختم ذلك بقوله: "وقد جمع بعض علماء الشافعية أربعين حديثاً في فضائل اليمن"⁽¹⁾. وفي الفصل التاسع عشر، الذي عنوانه (في التاريخ النبوي وذكر الغزوات المشهورة على جهة الاختصار) اختصر المؤرخ هذا الفصل في صفحتين ذكر فيه ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبه، وكم كان عمره عند وفاة أبيه وأمه، ومن هن مرضعاته، وعدد غزواته، وسراياه، ثم ذكر مختصراً مدة

(1) النص، ص 26.

الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومدة بني أمية، وعدد ملوكهم، ومدة الخلافة العباسية، وعدد ملوكهم.

أما الفصل العشرون، والذي كان عنوانه (في ذكر من تولى اليمن من الصحابة ومن بعدهم من أئمة أهل البيت إلى يومنا ومن عارضهم من الملوك) نجد المؤرخ في هذا الفصل يهتم بشرح الأوضاع السياسية في اليمن منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحتى التاريخ المعاصر له. وما يهمنا ذكره هنا هو ما يتعلق بالتاريخ الإسلامي، فقد بدأ هذا الفصل بذكر عمال اليمن عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم في خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ثم في عهد بني أمية، وبني العباس. واهتم المؤرخ بذكر الدول التي حكمت اليمن مثل: الدولة الزيدية ودولة بني نجاح، والدولة اليعفرية، ودولة القرامطة، والدولة الصليحية، وغيرها. وقد شرح المؤرخ شرحاً مختصراً كيف قامت هذه الدول، ومن مؤسس كل واحدة منها، وما هو الدور السياسي الذي لعبته كل دولة، وعلاقة هذه الدول ببعضها، وما هي الأسباب وراء نهاية كل دولة. ثم أفرد عنواناً مستقلاً للإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم مؤسس الدولة الزيدية، وترجم له ذكراً ولادته، وخروجه إلى اليمن، ووفاته⁽¹⁾، وبعضاً من مؤلفاته، وحدود دولته في اليمن، ومحاربه للقرامطة، ثم ذكر من تولى من الأئمة الزيدية بعد الإمام الهادي من أبنائه وأحفاده، مع ذكر نبذة عن الأوضاع السياسية في عصرهم، وقد سرد كل ما سبق دون أن يضع عنواناً لأي من الأئمة الزيدية الذين تولوا بعد الإمام الهادي يحيى بن الحسين إلى أن وصل إلى الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر بن أحمد بن الهادي وضع له عنواناً، ثم ذكر ولادته، وعمره، ومدة ملكه، ودعوته، وذكر مشاركته في الأوضاع السياسية في اليمن حتى وفاته. وختم ذلك بقوله: "فهؤلاء الأئمة المحتسبون في من عاصر الملوك المتقدم ذكرهم إلى سنة (566هـ)⁽²⁾.

(1) عبد السلام بن عباس الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، عمان، الاردن، ط1، 1999 م: 1103.

(2) النص، ص173.

بعد ذلك تناول المؤرخ الواسعي الأيوبيين في اليمن ذكر سبب تسميتهم ببني أيوب الدؤيين نقلاً من ابن خلكان، وسبب قدمهم إلى اليمن، وسياستهم فيها، والأوضاع السياسية في اليمن في عهدهم، حتى انتهى وجودهم في اليمن سنة 625هـ/1228م بوفاة الملك (المسعود) صلاح الدين بن يوسف، الذي توفي في مكة⁽¹⁾. وأورد المؤرخ من عاصر بني أيوب من الأئمة الزيدية، وحروبهم مع الأيوبيين، لعل أشهرهم عبدالله بن حمزة، الذي أورد المؤرخ ترجمة له تضمنت ولادته ووفاته وعمره ومؤلفاته وشجاعته.

أما الدولة الرسولية، فقد تناول المؤرخ سبب التسمية وكيف تمكن المنصور/ نور الدين بن علي بن رسول من التغلب على اليمن بعد وفاة الملك الأيوبي (المسعود) في مكة، ثم تناول ملوك الدولة الرسولية، مستعرضاً باختصار - الأوضاع السياسية في عهد كل واحد منهم. إلى أن وصل إلى انتهاء الدولة الرسولية على يد الطاهريين "فمن هنا ابتداء ملك بني طاهر. وبهذا انقرض ملك بني رسول، فسبحان الذي لا يحول ولا يزول"⁽²⁾.

كما اهتم المؤرخ الواسعي بذكر من عاصر بني رسول من الأئمة الزيدية، وما جرى بينهم من حروب. ومن عام 659هـ/1261م بدأ المؤرخ يترجم للأئمة الزيدية واحداً بعد الآخر، فبدأ بالإمام يحيى بن محمد بن أحمد السراجي، ثم المطهر بن يحيى المرتضى، والإمام محمد بن المطهر بن يحيى، والإمام يحيى بن حمزة، والإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، والإمام الهادي أبا الحسن بن علي بن المؤيد، والإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان. أورد لهؤلاء الأئمة تراجم بدأ بالمولد والوفاة والمؤلفات وأهم أعمالهم، وحروبهم، والأوضاع السياسية في عهدهم. إلى أن وصل إلى عام 858هـ/1454م وهو العام الذي استولى الطاهريون فيه على الحكم في عدن من بني رسول، وكيف تمكن عامر بن عبدالوهاب من الاستيلاء على الحكم "وملك اليمن أقصاه وأدناه"⁽³⁾.

(1) النص، ص 175.

(2) النص، ص 180.

(3) النص، ص 190.

ثم ذكر من عاصرهم من الأئمة الزيدية، والحروب التي جرت بينهم وبين عامر بن عبد الوهاب الطاهري، إلى عصر الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين، وشرح ما حدث بينه وبين الطاهريين، حتى قدوم المماليك (الجراكسة) إلى اليمن، وقد تناول الحروب التي دارت بين عامر بن عبد الوهاب والمماليك إلى أن قُتل عامر بن عبد الوهاب سنة 923هـ/1517م. وبانتهاء الدولة الطاهرية تدخل اليمن مرحلة جديدة، وتنتقل من التاريخ الإسلامي إلى التاريخ الحديث، فكيف تناول المؤرخ الأوضاع السياسية في التاريخ الحديث والمعاصر.

ج- التاريخ الحديث والمعاصر:

سبق أن نوهنا بأن المؤرخ جعل الفصل العشرين أطول الفصول، حيث تناول فيه الأوضاع السياسية في اليمن من بداية التاريخ الإسلامي إلى الفترة التي عاصرها. وفي هذا الفصل التزم المؤرخ بالتسلسل الزمني للأحداث، بغض النظر عن عدم التزامه بتقسيم فترات التاريخ، لأنه منهج غير معروف في عصره. وبما أن التاريخ الإسلامي في اليمن ينتهي بالقضاء على الدولة الطاهرية، وبداية حكم المماليك في اليمن، فسنبدأ التاريخ الحديث في اليمن ابتداءً بالحكم المملوكي فيه ذكر المؤرخ الواسعي بأن المماليك بعد أن قضوا على الدولة الطاهرية، واستقروا في صنعاء "عملوا المنكرات وأباحوا المحرمات فتحرك الإمام شرف الدين لقتالهم من بلاد حجة إلى ثلا"⁽¹⁾. وشرح ما حدث بين الإمام شرف الدين والمماليك من حروب إلى أن أرسل السلطان العثماني سليمان القانوني حملة عسكرية إلى اليمن بقيادة سليمان باشا الخادم سنة 945هـ/1538م، وبدأ المؤرخ يذكر أهم الولاة العثمانيين في اليمن ودورهم في أوضاعه السياسية بدءاً بالوالي أويس باشا، وانتهاءً بالوالي فضلي باشا في عهد الإمام المؤيد محمد بن القاسم، ولم يتطرق المؤرخ لخروج العثمانيين في عهد هذا الإمام، ولا كيف خرجوا، وأفرد المؤرخ خلال تتبعه لسياسة الولاة العثمانيين تراجم -بعناوين مستقلة- للمطهر بن شرف الدين والإمام القاسم ابن محمد⁽²⁾، والمؤيد

(1) النص، ص 197؛ سيد مصطفى سالم: المؤرخون اليمنيون، ص 11.

(2) النص، ص 204.

محمد بن القاسم⁽¹⁾، ودورهم في محاربة العثمانيين. ولم يهتم المؤرخ الواسعي بذكر ما جرى بين المؤيد والعثمانيين من حروب، حتى تم إخراجهم من اليمن، واكتفى بترجمة مختصرة جداً، وبأنه نُقِص الصلح بينهم "فانتشرت الألوية، وخفقت الرايات، وعضده أخوه أحمد أبو طالب، والحسن"⁽²⁾.

أما بالنسبة لليمن في عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول وقيام الدولة القاسمية، فقد أفرد المؤرخ الواسعي ترجمة لمعظم أئمة هذه المرحلة، وأفرد عنواناً لكل إمام بإسمه، فبعد أن ترجم للإمام القاسم بن محمد وابنه محمد ترجم لأحمد بن القاسم ترجمة مختصرة، كذلك الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، والذي ألفت فيه كتب ومؤلفات كبيرة اكتفى المؤرخ بذكر ولادته ووفاته، ومن عارضه فقط، لكنه تدارك اختصاره لترجمة المتوكل إسماعيل وترجم له مرة أخرى بعد أن ترجم لابنه الإمام المؤيد الصغير محمد بن المتوكل، فأعاد ما ترجمه سابقاً، وأضاف إليه شرحاً مختصراً كيف "ملك اليمن بأسره، ومدنه، وبواديها، وفتح الشحر وحضرموت، والمشارك كلها"⁽³⁾. ثم أفرد عناوين لكثير من الأئمة في عصر الاستقلال وترجم لهم ترجمة مختصرة جداً، وكذلك من عارضهم، وادعى الإمامة في عهدهم. وأفرد المؤرخ فصلاً مستقلاً عن حضرموت، شرح فيه نظام الحكم في الدولتين القيعطية والكثيرية، إلى جانب الرئاسات المستقلة. ولأن عدن لا تقل أهمية عن حضرموت، فقد أفرد لها أيضاً فصلاً مستقلاً، تناول فيه سياسة بريطانيا الاستعمارية في جنوب اليمن، وكيف أدخلت المحميات التسع تحت الحماية البريطانية، بعد أن شرح أسباب احتلال بريطانيا لعدن.

(1) لمزيد من التفاصيل أنظر أمة الملك إسماعيل قاسم الثور: بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد الإمام المؤيد محمد بن القاسم (995-1054هـ/1583-1644م) مع تحقيق مخطوطة الجوهرة المنيرة في مجمل من عيون السيرة (جزءان) للمؤرخ المطهر بن محمد الجرزموزي، صنعاء، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م.
(2) لمزيد من التفاصيل أنظر حسين أحمد العرشي: بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى اليمن من ملك وإمام، نشرها وحققها الأب، انستاس ماري الكرمل، مطبعة البريتيري، القاهرة، 1939م.
(3) النص، ص 205؛ للمزيد من التفاصيل أنظر المطهر بن محمد الجرزموزي: تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار، دراسة وتحقيق، عبد الحكيم بن عبدالمجيد الهجري: مجلدين، مؤسسة الإمام زيد، الأردن، 1223هـ/2001م). ؛ أمة الغفور عبدالرحمن علي الأمير: الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي (1054-1099هـ/1644-1688م)، مع تحقيق بهجة الزمن في تاريخ اليمن للمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم، صنعاء، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الطبعة الأولى، 1426هـ/2008م

لقد اهتم المؤرخ الواسعي بذكر دور الإمام المتوكل محمد بن يحيى في دعوة الوالي العثماني توفيق باشا، وكان في تهامة، ومعه قوة عسكرية كبيرة، فكتب له المتوكل "أن يتقدم بالعسكر إلى صنعاء ليؤدب بهم القبائل، الذي تغلبوا وتمردوا عن الطاعة، وأظهروا العناد والفساد"⁽¹⁾، ثم كيف تم إخراج العثمانيين من صنعاء وإعدام الإمام المتوكل محمد بن يحيى. ثم تابع المؤرخ ترجمته لعدد من الأئمة في فترة الفوضى ومن عارضهم، ودور القبائل الذين حول صنعاء في تدهور الأوضاع السياسية في اليمن عامة، وصنعاء على وجه الخصوص. وذكر دور بعض المشائخ والعقال في تدهور الوضع في صنعاء مثل الشيخ أحمد الحيمي، ومحسن معيض، ثم ذكر أسباب دخول الأتراك صنعاء، وكيف استقبلهم اليمنيون، وعلى رأسهم الإمام علي بن المهدي والإمام غالب بن محمد وغيرهم، لإخراج اليمن من الفوضى، ثم أفرد عنواناً لدخول الأتراك صنعاء، وحدد وصولهم في 16 صفر 1289هـ/1872م⁽²⁾.

وتابع المؤرخ بعد ذلك الأوضاع السياسية في اليمن في عهد الولاة العثمانيين، الذين حكموا اليمن، ودخل بعضهم في حروب مع الأئمة الزيدية حينذاك، وانتقد المؤرخ كثيراً من الولاة لسوء سياستهم، وظلمهم لكثير من الرعايا في اليمن أمثال: أحمد فيضي باشا، وعثمان باشا، وعبدالله باشا، ومحمد علي باشا، لكنه في الوقت نفسه أثنى على من حسنت سياستهم، وأورد كثيراً من الإيجابيات وسياستهم الحكيمة في اليمن، أمثال: إسماعيل حقي باشا، وعثمان نوري باشا، وحسين حلمي باشا، وحسن تحسين باشا وغيرهم⁽³⁾.

كما اهتم المؤرخ الواسعي بتتبع الأوضاع السياسية في عصر الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين⁽⁴⁾، بعد أن كتب له ترجمة وافية تناولت مولده، ومؤلفاته، ومشائخه في العلم، سرد

(1) النص، ص216؛ لمزيد من التفاصيل أنظر: - المطهر بن محمد الجرزموزي: النبذة المشيرة الى جمل من عيون السيرة (سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد، دراسة وتحقيق الدكتور عبدالحكيم عبدالمجيد الهجري، مجلدين، الطبعة الأولى، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، 2021م.

(2) عبدالله عبدالكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، منشورات العصر الحديث، بيروت، ط2، 1978م، ص269.

(3) لمزيد من التفاصيل أنظر فاروق عثمان أياضة: الحكم العثماني في اليمن، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1975م.

(4) النص، ص243؛ لمزيد من التفاصيل أنظر أمة الملك الثور: الموقف اليمني من الحكم العثماني الثاني مع تحقيق مخطوط الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور محمد بن يحيى بن حميد الدين للعلامة علي بن عبدالله الأرياني، دار الفكر، دمشق، 2008م، ص35-42.

المؤرخ حروب الإمام المنصور محمد مع العثمانيين " وقد كان فيما بين الإمام المنصور -رحمه الله- وبيننا لولاة على اليمن في أيام خلافته من المعارك والملاحم ما ملاء الدفاتر، وأنضب المحابر، وما من قبيلة ولا بلاد من الزيدية في اليمن إلا وله فيها معركة، وحاصر صنعاء مرتين، وأسر من الأتراك مراراً، وقصدوه إلى محطته المعروفة بقفله عذر من بلاد حاشد مرتين"⁽¹⁾. وأورد المؤرخ جانباً من تلك الحروب، وبشيء من التفصيل. وفي سنة 1314هـ/1896م ذكر المؤرخ وصول السيد محمد الرفاعي ناصحاً للإمام المنصور في قتاله للدولة، ويحثه على الصلح، وأورد نص جواب الإمام المنصور على رسالة السيد الرفاعي.

ولقد أهتم المؤرخ الواسعي بسرد كثير من الأوضاع السياسية في عصر الإمام يحيى⁽²⁾ الذي عاصره، بعد أن أفرد له ترجمة ذكر فيها مولده، ومشاخه في العلم، ومبايعته بالإمامة. حيث شرح المؤرخ حرب الإمام يحيى مع الأتراك العثمانيين وبدأ بحصاره لصنعاء وبعض المدن، وبعد المبايعة "جمع القبائل من جميع البلاد وأجابته بالطاعة والإسعاد... بمحاصرة المدن التي فيها الأتراك، الذين سعوا في الأرض بالفساد، وتركوا الشرائع، وظلموا العباد، فحاصروا جميع مراكز اليمن، ماعدا الحديدية وتعز"⁽³⁾. ثم سرد كثيراً من الحروب بين الطرفين. وأورد المؤرخ نص رسالة الإمام يحيى على جماعة من كبار علماء مكة قدموا إلى صنعاء، وأرسلوا له رسالة ينصحونه بترك القتال والحث على الصلح، كما تناول الوفدين اليمنيين اللذين تم إرسالهما إلى السلطان عبدالحميد الثاني في اسطنبول⁽⁴⁾، بطلب منه، محاولة منه لعقد صلح مع الإمام يحيى، كان ذلك في عهد الوالي حسن تحسين باشا، الذي يصفه المؤرخ بأنه "رجلاً عاقلاً، صلحت في أيامه أحوال اليمن، وسكنت

(1)النص، ص243.

(2)لمزيد من التفاصيل أنظر فوادعبدالوهاب علي الشامي:علاقة العثمانيين بالإمام يحيى في ولاية اليمن(1322-1337) □ 1904-1918م) ،مركز الرائد للدراسات والبحوث،صنعاء،2014م .

(3)النص، ص269.

(4)النص، ص276؛ لمزيد من التفاصيل أنظر سالم، سيد مصطفى: تكوين اليمن الحديث(1904-1948م)ط4، 1993م،ص81-87.

الفتن، ولم يتعرض للإمام.. وحصل بينه وبين الإمام صلح⁽¹⁾. ولعل كل ذلك كان بمثابة إرهابات للصلح الذي عُقد في دعان كما سيأتي معنا.

غير أنه عادت الحروب بين الطرفين في عهد الوالي محمد علي باشا، نتيجة للسياسة السيئة التي اتبعها الوالي الجديد "وكان فظاً غليظاً متكبراً متجبراً وعامل الناس بالعنف والشدة والظلم والجور"⁽²⁾. وكانت النتيجة أن عاد الإمام لمحاصرة صنعاء وبعض المدن. وتناول المؤرخ الحصار، والحروب بين الطرفين حتى قدم إلى اليمن من اسطنبول أحمد عزت باشا، تناول المؤرخ سياسته الحكيمة مع اليمنيين، "ثم كتب عزت باشا لحضرة مولانا الإمام المتوكل على الله أيده الله بالصلح"⁽³⁾ وتناول المؤرخ الواسعي المراسلات بين الطرفين من أجل عقد الصلح، كما تناول مراسيم عقد الصلح في "دعان"، وتوقيع الطرفين على شروط أوردها المؤرخ في فصل مستقل هو الفصل الحادي والعشرون وقد أورد خمسة عشر شرطاً، ثم أورد عشرين بنداً. وبعد أن هدأت الأوضاع بين الإمام يحيى والعثمانيين اهتم المؤرخ الواسعي بذكر النتائج الإيجابية لهذا الصلح، وكيف صلحت اليمن، وزالت الفتن، بل أن الإمام عرض المساعدة للعثمانيين عندما حاصرت إيطاليا الحديدية وهاجمتها من البحر، فأرسل الإمام إلى الباب العالي "إني مستعد بإرسال مائة ألف من العرب كاملة العدة والعدد، ثم رجع الجواب بالتشكر للإمام"⁽⁴⁾.

وتابع المؤرخ الواسعي تطور الأحداث عند قيام الحرب العالمية الأولى ونتائجها على اليمن شمالاً وجنوباً، ثم تابع سياسة الإمام يحيى بعد خروج العثمانيين من اليمن، وعلاقته بالإنجليز في الجنوب وأورد صورة التقرير الإمامي المتعلق بانضمام المملكة اليمنية إلى الحلف العربي العام، نقلاً من جريدة الإيخان، وكتب بنود الحلف، كما أورد عدداً من القرارات التي أصدرها الإمام يحيى. وفي الفصل الثاني والعشرين أورد حوالي تسع معاهدات واتفاقيات بين حكومة اليمن

(1) النص، ص 276؛ لمزيد من التفاصيل أنظر عبدالكريم بن أحمد مطهر: سيرة الإمام يحيى بن حميد الدين (المسماة كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة)، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عيسى صالحية، مجلدان، الطبعة الأولى، دار البشير، عمان، 1998م.
(2) النص، ص 280.
(3) النص، ص 282.
(4) النص، ص 287.

وحكومات الدولة الشقيقة والصديقة. ولم يرتبها حسب تواريخها، ولعل ترتيبها كان حسب أهميتها من وجهة نظر المؤرخ. وكان المؤرخ قد أنهى كتابه بتلك المعاهدات، وبعد أن طبع الكتاب وكان في مصر وصله نبأ اغتيال الإمام يحيى سنة 1948م، فاضطر إلى أن يضع ملحفاً لتاريخ اليمن في ذكر الحكومة الجديدة، وأشار إلى أن الملحق اشتمل على ذكر صفة اغتيال الإمام، وبعض صفاته، وتولي ابنه أحمد الإمامة، والتهاني من بعض الملوك العرب. وبهذا يكون المؤرخ قد انتهى من تدوين الأوضاع السياسية مورداً سلبيات وإيجابيات كل فترة من فترات التاريخ، وعلى وجه الخصوص الفترة التي عاصرها.

ثانياً-الأوضاع الاجتماعية:

إذا ما تطرقنا للأوضاع الاجتماعية سنجد أن المؤرخ قد اهتم كثيراً بهذه الناحية، فقد تتبع حركة المجتمع اليومية، وأورد ما شاهد أو سمع أو قرأ عن المجتمع اليمني عامة والمجتمع الصناعي على وجه الخصوص، واهتم كثيراً بالمرورث الشعبي والعادات والتقاليد في مجتمعه. وأكثر ما سجله المؤرخ من صور اجتماعية كان مسرحها صنعاء، وهذا أمر طبيعي، فقد كانت صنعاء مقراً له، مما جعله قريباً من مسرح تلك الأوضاع، لكنه أيضاً لم يهمل القرى والمدن الأخرى، فقد سجل كثيراً من الصور الاجتماعية، التي سنتناول بعضها منها.

إن اهتمام المؤرخ برسم كثير من الصور الاجتماعية في عصره، على وجه الخصوص، يزيد - بلا شك - من أهمية الكتاب، إذ إن كثيراً من المؤرخين المعاصرين له، أو السابقين لم يهتموا بهذا الجانب، وانصب اهتمامهم على الأوضاع السياسية، والتراجم.

ومما اهتم به المؤرخ في هذا الجانب:

- قبائل اليمن، فنجده أولاً أفرد الفصل الثالث (في ذكر قبائل اليمن) أورد فيه أسماء قبائل اليمن عامة، والقبائل المهمة بشكل خاص. وكان يذكر القبائل الكبرى وما يتفرع منها من قبائل صغيرة، فنجده، مثلاً يكتب، قبائل تهامة عسير، ثم يذكر اسم كل قبيلة من قبائل تهامة عسير، كذلك قبائل تهامة اليمن، ذكر اسم كل قبيلة من قبائل تهامة اليمن.

ولم يكتف المؤرخ الواسعي بذلك، بل ذكر في الفصل الخامس عشر أسماء بعض قبائل تهامة عسير، نقلاً من كتاب "الرحلة اليمانية" للعلامة شريف بن عبدالمحسن، من أشرف مكة، حين وصل عسير عام 1392هـ/1972م⁽¹⁾. وأوردتها في جداول، مرتبة حسب حروف المعجم، ثم أورد أسماء القبائل من صنعاء إلى مأرب وأن كل اليمن مسلمون، ويوجد فيهم كتابيون من اليهود فقط، يدفعون الجزية ويشاركون المسلمين في التجارة والصناعة. وفي صنعاء يوجد لهم في الغرب من حي بئر العزب في داخل السور قرية اليهود، وتسمى قاع اليهود، وليس فيه حي واحد للمسلمين، فهم لا يأذنون للأجانب غيرهم أن يجاوروهم، ولليهود سوق خاص بهم.

أما عدن فيذكر المؤرخ بأن سكانها من أمم مختلفة، وعناصر شتى، فيوجد فيها العربي والهندي والفارسي والحبشي والصومالي والسوداني، وفيها المسلم والنصراني واليهودي والوثني والبينياني والإسماعيلي والملحد والمجوسي⁽²⁾. ويصف المؤرخ جزيرة ميون، وصفاً دقيقاً، فعند أن ذكر أسواقها، وخاناتها، وطرقها، والمبيعات فيها، أشار إلى أن من بين سكانها فُرس مولودون في الهند، وهنود، وأرمن، وهم يزودون السفن بالفحم⁽³⁾، وأورد بعضاً من صفات أهل اليمن، بأنهم أهل ذكاء وفطنة وشجاعة وإقدام، وأهل كرم ومروءة وشرف وعزة وأنفة، وغيره على النساء، وأهل صلاح وتقوى وإخلاص، ومن أخلاقهم حماية من استجار بهم "فلو بغى رجل على آخر، فغلب، فقال أنا في وجه فلان، يعني رجلاً من قبليته، كفوا عنه واحترموه، لأجل حماية صاحبهم"⁽⁴⁾. ثم يصف القبائل بأنهم أهل شيمة وكرم وحمية أكثر من أهل المدن⁽⁵⁾.

ومما يزيد من أهمية الكتاب أن مؤلفه أفرد فصلاً كاملاً (في ذكر عادات أهل اليمن في الأكل واللبس وفي حال أفرانها وأترانها)، وقد أورد معلومات مهمة عن الموروث الشعبي للمجتمع اليمني، وعلى وجه الخصوص الصنعاني، وكتب عن كثير من العادات والتقاليد التي كانت

(1) النص، ص 111.

(2) النص، ص 66-67.

(3) النص، ص 84.

(4) النص، ص 21.

(5) النص، الصفحة السابقة.

سائدة في عصره، وبذا نستطيع القول: إنه أهتم بالأوضاع الاجتماعية أكثر من غيره من مؤرخي عصره. فرسم صوراً اجتماعية كثيرة، وأفرد لكل صورة عنواناً مستقلاً، ومن هذه الصور:-

أ- حاكم اليمن:

تناول فيه صفات الإمام، وعلمه، وأخلاقه، وسيرته، وأورد ملخصاً مختصراً للحياة اليومية للإمام يحيى من الصباح حتى المساء.

ب- عادات أهل اليمن في الأكل:

من الملاحظ أن المؤرخ الواسعي لم يتناول كل الأكلات لدى اليمنيين، لكنه أهتم أولاً بإعداد الخبز "وكل واحد يطحن ويخبز في بيته في تنور في بلاد الجبال عامة، المدن وغيرها، ويخبزون كل يوم خبزاً طرياً"⁽¹⁾. ومن الملاحظ أن المؤرخ الواسعي اقتصر هنا على وصف لبعض الأكلات، وليس جميعها، كما أنه لم يذكر ما يميز مدينة عن أخرى في إعداد الأكلات، وأفرد هنا وصفاً دقيقاً للأكلة الرئيسية في وجبة الغداء، لدى كثير من اليمنيين، وهي الحلبة، فشرح بالتفصيل طريقة إعدادها منذ أن تُطحن إلى أن تقدم جاهزة للأكل، وما يضاف إليها من أطعمة أخرى، وشرح فوائدها فيقول: "مشهورة بالهضم، وصحة البدن، والقوة، وفتح السدد، وطرده الإمساك، وطرده الأوجاع، وغير ذلك. ومن أكلها وعرفها لا يقدر أن يتركها"⁽²⁾.

ج- عادة اليمن في اللبس:

وصف المؤرخ لابس الرجل اليمني، مميّزاً بين لابس الرجل في المدينة، وبين لابس الفلاح (القبيلي) في القرى، فذكر أن أهل المدن يلبس الرجل اللبس العربي من القطن والحرير، مع طول الأكمام، وكبر العمام. وهو ما يسمى الجبة في مصر والشام، أما غير المدن وهم القبائل الزراع، فيلبسون السواد، وعلى رأسه قطعة من ثوب أسود يلفها على رأسه⁽³⁾. أما ملابس المرأة فقد وصف المؤرخ ملابس المرأة الصنعانية وصفاً دقيقاً، سواء في منزلها، أو عند خروجها للمناسبات. وكان

(1) النص، ص 125.

(2) النص، ص 126.

(3) النص، ص 126.

عند أن يورد مصطلحاً لأنواع الألبسة يقارنها بمثيلاتها في مصر وبلاد الشام، فمثلاً يقول: " وهذا الثوب يسمى في اليمن زنة، وفي مصر يسمى جلابية وفي الشام يسمى سرکسا"⁽¹⁾. كما وصف ملابس المرأة التهامية.

ومما لا شك فيه أن الشرح الدقيق والمفصل لأنواع الملابس وأدوات الزينة للمرأة يُعد توثيقاً للموروث الشعبي، خاصة أن كثيراً منها قد اندثر، ولم نعد نسمع عن كثير من المصطلحات الواردة في الكتاب إلا نادراً، منها على سبيل المثال: (القناع، القشيطه، الفرادي، الكهرب، التزجة، السباطة، العُصبة... الخ). (أما اليهود فقد ذكر لهم زي مخصوص قلنسوه سوداء قطن، وإذا كان أحدهم رئيساً دينياً يربط منديلاً أسوداً فوق القلنسوه (الطاقية).

د- عادة التزويج (الزواج) في اليمن:

يشرح المؤرخ ما يجب على الزوج أن يدفعه لزوجته مبتدئاً بالمهر بحيث يدفعه معجلاً، وقد يؤجل النصف، ويسلم للزوجة من التجهيز والوليمة، ويسميه أهل اليمن حق النار، وذكر بأن المهر يتفاوت من ثلاث جنيهات إلى عشر جنيهات، ثم يسرد ما يدفعه الزوج في اليمن، ويقارن ذلك مع ما يدفعه الزوج في مصر والشام وبعض الأتراك. أما عادات تجهيز العروسة فقد شرح المؤرخ شرحاً وافياً كل مراسم الزفاف، من أول يوم، الذي أطلق عليه يوم الحمام إلى آخر يوم، وهو يوم الشكمة. ومن الملاحظ أن المؤرخ قد ركز في وصفه على المجتمع الصنعاني، المحيط الذي يعيش فيه. وفي هذا الجانب أيضاً وثق المؤرخ لمثل هذه العادات والتقاليد، التي قد تغير كثيراً منها، وتم إلغاء كثيراً من المراسيم في الوقت الحالي، لتكاليفها الباهظة.

ه- عادة النساء في الولادة:

شرح المؤرخ الواسعي بشكل مفصل عادات وتقاليد المجتمع اليمني أثناء الاحتفال بقدوم مولود جديد، من حيث نوع الأكل الذي يُعطى للأم، ويتكفل الزوج بإيجاد مكان واسع، ويحضر له أحسن الفرش والزينة، ويوضع على جميع الجدار القماش المزركش، ويسمى في اليمن

(1) النص، ص 126-127.

(السَّميدار)، وأن النساء يحضرن من يوم السابع من يوم الولادة إلى تمام الأربعين يوماً، وماهي الطقوس التي تجري أثناء استقبالهن كل يوم من بعد الظهر إلى المغرب، وما يتحملة الزوج من أعباء مالية منذ قدوم المولود إلى يوم الأربعين، فيقاسي الزوج من هذه المصاريف، ولاسيما إذا كان فقيراً. ويرى المؤرخ أن هذه من العادات القبيحة في اليمن⁽¹⁾.

و- حالة النساء في المياتم:

قارن المؤرخ في حوالي نصف صفحة بين المرأة اليمنية والمرأة المصرية، حيث ذكر أن المرأة اليمنية لا تقوم بالصراخ الشديد، والعيول المفجع، والخروج مع الجنازة، لكنها تكتفي بالبكاء، ويرى أن البكاء لا يقدر الإنسان أن يدافعه، وليس مكروه في الشرع⁽²⁾.

د- القات:

اهتم المؤرخ الواسعي بظاهرة اجتماعية في اليمن، وهي ظاهرة تناول القات ومجالسه، فذكر أن مجلس القات يبدأ من بعد تناول وجبة الغداء ظهراً حتى المساء، ونوه إلى أن الغالبية يتناولونه، ما عدا الإمام يحيى حميد الدين منعه طبيبه الخاص عن تناوله منذ عدة سنوات، فامتنع، ثم ذكر أنهم يستعملون عند أكل القات إناء لشرب الماء⁽³⁾.

ويتضح مما كتبه المؤرخ الواسعي عن القات والسجائر أنه لا يتناولهما بل رأى أن من يتناول القات من اليمنيين، وكذلك السجائر، فإن ذلك سبباً في كسلهم، وضياح وقت طويل في جلسات القات، وأورد آثاره السلبية اقتصادياً وصحياً، كما أورد أضرار التدخين، الصحية، وذكر أن له رسالة أسماها (لطف الإيناس في النصيحة للناس) مبيناً فيها أضرار القات والتدخين، كما أورد فيها كلاماً مفيداً لبعض علماء مصر بخصوص ذلك⁽⁴⁾.

لقد دون المؤرخ في كتابه ما كان يحدث في المجتمع اليمني، وخاصة الصنعاني من أحداث يومية يتناولها العامة فيما بينهم، لغرابتها، فيكتبها كما سمعها، فنجده على سبيل المثال يورد حادثة

(1)النص، ص129-130.

(2)النص، ص130.

(3)النص، هامش، ص51.

(4)النص، ص22.

وقعت في شهر رجب سنة 1313هـ/1895م قصة رجل يقال له اليناعي، دخل من عمران إلى صنعاء، وكان لديه في صنعاء بيت، فدخل عنده رجلان أحدهما من صنعاء، يقال له شوبر. وكان أمناً منهما، فلما كان نصف الليل وثبا عليه بالطعن، فصاح، فغار عليه الجيران والحرس، فدخلوا إلى بيته، وأخذوا الرجلين، وأوصلوهما إلى شيخ الشرطة⁽¹⁾.

ولقد أهتم المؤرخ الواسعي بين الحين والآخر بما كان يقوم به اللصوص من سرقات، في صنعاء وغيرها، كذلك أعمال القتال، وماهي العقوبات التي كانوا ينالونها، وكان غالباً يؤكد على القصص، لأن في القصص حياة، فأورد الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية مستخلصاً العظة والعبرة من القصص، "ومن أسرارها حفظ المجتمع من الفوضى الأخلاقية... فقد سماه الله قصاصاً وهو في أصل اللغة يفيد المساواة، ففيها من عدل الله وحكمته عجب العجاب"⁽²⁾. ثم أورد مجموعة من الذين ارتكبوا جرائم القتل، في عصره، وتم تنفيذ حكم الإعدام فيهم قصاصاً، منهم على سبيل المثال: "وفي سنة 1352هـ/1933م أقيم حد قصاص على ثلاثة أشخاص، أحدهم قتل صبيّاً ذبحاً، وبعد الحكم على القاتل قطع رأسه قصاصاً، الثاني جندي قتل رفيقه، والثالث جندي قتل ضابطاً"⁽³⁾.

وذكر المؤرخ بعض المعلومات عن صنعاء المدينة من حيث أسواقها، ومساجدها وأبوابها وحماماتها، وقصورها، وحراراتها، وأسماء الكثير من الغيول، كما وصف أشكال البناء في مدينة صنعاء، ومواد البناء فيها وفي الأرياف، ووصف البيت الصنعاني وصفاً دقيقاً مفصلاً من حيث نوافذه وقمرياته وغرفه (المنظر، المفرج، الجرف)، وأثاثه (المفارش، الطنافس، المساند، الوسائد وغيرها). ولا شك أن هذا يُعد توثيقاً للبيت الصنعاني وبعض أثاثه، وقد بتنا نفتقده في كثير من البيوت، وبدأت تتلاشى ملامحه في وقتنا الحاضر. وبذلك يكون الواسعي قد تابع الحياة

(1) النص، ص 255.

(2) النص، ص 313.

(3) النص، ص 314.

الاجتماعية، والتي تعبر عن واقع المجتمع وحركته وديمومته، والتي قد لا يهتم بها الكثير من المؤرخين، فرسم لنا صورة عن المجتمع الصناعي خاصة، واليميني عامة.

ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية

لقد اهتم المؤرخ الواسعي بالأوضاع الاقتصادية، إلى جانب اهتمامه بالأوضاع الأخرى، وقد تأرجحت الأوضاع الاقتصادية بين الشدة والرخاء. وبما أن اليمن بلد زراعي في الدرجة الأولى، فكانت الزراعة محط اهتمام المؤرخ، وكانت العامل الرئيسي في استقرار الأوضاع الاقتصادية أو تدهورها. لقد وصف المؤرخ أهل اليمن بأنهم "أهل قوة وجد على الزراعة والتجارة والصناعة، بقدر ما يتسع لهم المجال"⁽¹⁾. وإذا ما بدأنا بالزراعة سنجد المؤرخ قد اهتم أولاً بوصف القرى التي حول صنعاء، وماهي المنتجات الزراعية التي تتميز بها كل قرية، دونّ خلالها أصنافاً كثيرة من الفواكه التي تزرع فيها، بل إنه بدأ بئر العزب حيث وصف بساينها وأثمارها وغيلها. أما الروضة، وهي في الشمال من صنعاء فيذكر أنها مشهورة بزراعة أجود أنواع العنب "البياض" ثم يذكر اثنين وعشرين صنفاً من الأعناب التي تزرع في اليمن ومناطق زراعتها. كذلك سعوان، وما تشتهر به من الفواكه المتنوعة مثل: البطيخ الأحمر والأصفر، والتين والخيار والشمام. أما حدّه فبعد أن وصف عين الماء المشهورة بها، والتي تُسمى عين مُحيس، ذكر أن ما اشتهرت به من منتجات زراعية هو: المشمش والجوز. إلى جانب كثير من القرى التي حول مدينة صنعاء، والتي ذكرها المؤرخ وما تشتهر به كل قرية من منتجات زراعية مثل: سناع، بيت زبطان، حَمَل، عصر، السّر، رجام، غضران، قرية القابل، وادي ظهر، ضلع، الكبس، وغيرها.

أما تهامة، فيصف أهلها بأنهم أهل تجارة وصناعة وزراعة، وفيهم صيادو السمك، وبنون السفن الصغيرة، وفيهم غواصون كثيرون، يستخرجون اللؤلؤ من أعماق البحار. أما سكان جبال تهامة فيشتغلون في الزراعة، ورعي الغنم، وبعضهم يشتغل في التجارة، ومنهم من يشتغل في البناء. واهتم المؤرخ الواسعي أيضاً بمنتجاتها الزراعية، فنجد عند وصفه لزيد يقول: "وهي

(1) النص، ص 22.

كثيرة المياه والفواكه، عظيمة البساتين، ونخلها وثمرها من كل لون: أحمر، وأصفر، وأخضر، وفيها كثير من الفل الأبيض، والياسمين، والكاذي، وسائر الأزهار"⁽¹⁾. وعند أن تناول الوديان ذكر أن وديان تهامة وعسير خصبة، تزرع في السنة ثلاث مرات، أخصبها (وادي بنا) تبلغ مزروعاته سبعين ألف فدان، ومزروعاته: الذرة، الدخن، السمسم، النيلة، الليمون، الخضروات، وأنواع من الأشجار المثمرة. وذكر عدداً من الوديان الأخرى، وما يُزرع في كل واحد منها: وادي حلي، وادي بارق، وادي السر، وادي حريب، وغيرها"⁽²⁾. أما حضرموت فيزرع بها النخيل، والحبوب، والتبغ، واللبان الذكر، والصبر (المر).

وفي الفصل الثامن عشر الخاص بجغرافية اليمن، أفرد عنواناً للمنتجات الزراعية في اليمن ذكر فيها أنواعاً كثيرة من الحبوب، ومعظم أنواع الفواكه، وكذلك الخضروات، والتي تدل على أن اليمن بلد زراعي، غني بكثير من المنتجات الزراعية المتنوعة، وقد تأسف المؤرخ لعدم الاهتمام بمياه الأمطار، التي تكون نهايتها البحر أو الرمال، والقليل فقط هو الذي يتجمع في باطن الأرض، وأوصى بضرورة بناء وحفر الخزانات والسدود، لتتحول الصحاري القاحلة إلى جنات ناظرة، وأنه لا بد من أن يكون الري "بالإصلاح، والانتظام الزراعي الحديث، المبني على أساس... والبلاد إذا انتظمت مياهه وزروعه ساوى مصر والهند"⁽³⁾. وبالرغم من أن المؤرخ لم يذكر مناطق زراعة البن، مثلما ذكر لنا بقية المنتجات الزراعية، لكن ذكر تاريخ ظهور شجرة البن، حيث يقول: "وفي سنة 914هـ/1508م ظهرت شجرة البن في اليمن، ثم اشتهرت في جميع الأقطار"⁽⁴⁾. وقد اهتم المؤرخ بالأمطار والنتائج المترتبة على نزولها، أو عدم نزولها من ارتفاع أو انخفاض في أسعار الحبوب والمنتجات الزراعية الأخرى، فنجد على سبيل المثال في أحداث سنة 1311هـ/1893م يقول: "والأمطار قليلة، والأسعار غالية. وأما ثمرة العنب ففيها صلاح

(1) النص، ص 53.

(2) النص، ص 95-96.

(3) النص، ص 136.

(4) النص، ص 193.

عظيم"⁽¹⁾. وفي أحداث سنة 1321هـ/1903م يقول: "ودخلت سنة 1321هـ، وفيها عظم البلاء، واشتد الغلاء، وقلت الأمطار، وغلّت الأسعار"⁽²⁾، وفي أحداث سنة 1346هـ/1927م يشير المؤرخ إلى أن "الأسعار غالية بسبب تأخر المطر عن وقته، ولا سيما التهايم، فالغلاء كان فيها شديداً"⁽³⁾. واهتم بتناول الآثار الإيجابية المترتبة على سقوط الأمطار فنجده مثلاً يقول في أحداث 1310هـ/1893م "والأمطار والحبوب كثيرة والخيرات عامة في جميع اليمن"⁽⁴⁾. وأشار إلى وضع اليمن خلال الحرب العالمية الأولى، وما سبب عدم تأثرها بهذه الحرب اقتصادياً، حيث يذكر أنه بالرغم من أن الحرب استمرت خمس سنوات إلا أن اليمن تحسنت بها الزراعة وزادت الثمار، ولم ينقطع عن اليمن إلا القاز (الكيروسين) والسكر: "واليمن استغنى بنفسه مع وجود وفرة الفواكه والثمار، ويوجد نوع من السكر في اليمن الأسفل"⁽⁵⁾. وهناك الكثير من الأمثلة التي أوردها المؤرخ، والتي تناول الأمطار والآثار المترتبة عليها سلباً وإيجاباً. واقتصرنا هنا بإيراد بعض الأمثلة. وأورد المؤرخ تقريراً عن اليمن بقلم الفضيل الورتلاني، تضمن ثروة اليمن الزراعية، أورد فيه كثيراً من المنتجات الزراعية في اليمن، وكيف يجب أن يكون الاهتمام بالزراعة. أما التجارة، فلم يولها المؤرخ الواسعي اهتماماً كبيراً كما اهتم بالزراعة، غير أنه أشار إلى أن تجارة اليمن تشتمل على مجموع الصادرات والواردات، وأن صادرات اليمن كانت في الأغلب من البن والجلود والعقيق بسائر أنواعه، والتبغ، وزيت السمسم، والسمن، والعسل والحبوب. أما الواردات، فهي: الأقمشة بسائر أنواعها من قطن وصوف وحرير، والسكر والأرز والبتروول والكبريت والعمطور والروائح الزكية، وما يوجد لدى العطاريين من بعض الأدوية⁽⁶⁾. وفي بعض سنوات الجذب والجفاف كان يتم استيراد بعض الحبوب من الخارج، وقد أشار المؤرخ إلى ذلك في أحداث سنة 1332هـ/1914م "قلت الأمطار وغلّت الأسعار وأغاث الله الناس بخروج

(1) النص، ص 254.

(2) النص، ص 264.

(3) النص، ص 302.

(4) النص، ص 252.

(5) النص، ص 292-293.

(6) النص، ص 142.

الدقيق والطعام من الهند والحبش والسودان⁽¹⁾. كما أورد أهمية عدن، وما يميز موقعها الاستراتيجي فيرى أنها "سرة عالم التجارة، وواسطة القلادة التي تجمع الغرب إلى الشرق... ومبلغ ما يدخلها اليوم من الواردات يتعدى ثمانية آلاف ألف دينار "أي ثمانية ملايين جنيه، وتعد اليوم من أعظم مراسي اليمن، بل أعظم مراسي ديار العرب كلها جمعاء"⁽²⁾، كما أشار إلى أن كثيراً من سكان حضرموت وكذلك رداع يهاجرون إلى خارج اليمن، ويشغلون بالتجارة في المناطق التي يهاجرون إليها. أما الصناعة فقد ذكر المؤرخ أن أهم ما يصنع في اليمن هو النسيج المعروف بأنواعه، ويصنع البسط بسائر أنواعها السود والبيض والحرمر، والنحاس المنقوش⁽³⁾. ومن المدن التي يُصنع فيها النسيج زبيد وبيت الفقيه "حتى أنك لا تميز بين ما يصنع فيها وبين ما ينسج في الشام"⁽⁴⁾ وصنعاء، والمراوعة، وغيرها.

وأفرد المؤرخ فصلاً (في ذكر معادن اليمن ومواقعها، حيث شرح أماكن تواجد كثير من المعادن، وهذا دليل على غني اليمن بالكثير من المعادن الثمينة، وقد ذكر المؤرخ كثيراً من الأنواع منها: معدن الذهب، الفضة، الزمرد والياقوت، النحاس، الفحم الحجري، العقيق، اللؤلؤ والمرجان والصدف، البترول (المسمى القاز)، الكبريت، الرصاص، الرخام. وأنواع أخرى كثيرة، لا مجال لذكرها جميعاً⁽⁵⁾).

وبذلك يكون المؤرخ قد رسم لنا صوراً كثيرة عن الوضع الاقتصادي لليمن في عصره، والمتبع لكتابه سيجد الكثير من الأمثلة وقد اقتصرنا على القليل منها.

(1) النص، ص 292.

(2) النص، ص 66.

(3) النص، ص 143.

(4) النص، ص 53.

(5) للمزيد أنظر النص، ص 98-106.

رابعاً: الأوضاع الثقافية والعلمية

لقد كانت الأوضاع العلمية والثقافية موضع اهتمام المؤرخ، لأنه كان واحداً من علماء عصره، كما رأينا في ترجمته، فكان لفترة مديراً لدار العلوم، واشتغل في التدريس، لذا فكان أول اهتمامه ذكر المدارس، ودور العلم التي أنشأها الإمام يحيى، والتي منها: دار العلماء والمتعلمين، كما أسس في صنعاء المدرسة الحربية، والمدرسة العلمية، ومدرسة دار الأيتام.

وقد ذكر المؤرخ الواسعي هذه المدارس في أول كتابه، تحت عنوان العلوم والمعارف، لكنه عند أن وصل في نهاية الكتاب، وهو يتناول أحداث سنة 1344هـ/1925م وضع لكل مدرسة عنواناً وشرح فيه تأسيس المدرسة وعدد الطلبة فيها وتنظيمها، وما تنفقه الحكومة على الطلاب، خاصة المدرسة العلمية ومدرسة الأيتام، باعتبارهما مدرستين داخليتين⁽¹⁾.

وفي عنوان آخر هو "نشر المعارف وتعميم التعليم" وهو مقال لأبنة أحمد في جريدة الإيثار حث في البداية على الاهتمام بالتعليم، وأشاد بالإمام يحيى حميد الدين بسبب اهتمامه بالتعليم "وكان من الحسنات العظام أن شمل الأطراف والجهات التي لم يكن للتعليم فيها من قبل أي نصيب، فشكلت فيها المدارس الابتدائية، وعين لها المعلمين الأكفاء، واستمر انتشار التعليم بصورة تكاد أن تلحق بالإجبارية"⁽²⁾. وأشار المؤرخ أن الجوامع في صنعاء يُدرّس فيها العلم كالأيام السابقة. كما أورد المؤرخ خطبة لأبنة أحمد كلها تدور حول أهمية العلم. ونقل أيضاً مقالاً للأستاذ الشيخ محمد صبري أفندي عابدين من جريدة اللواء في القدس، حث فيها على ضرورة العمل بالكتاب والسنة، وحذر من مخاطر المدارس التبشيرية، وبأنهم يعلمون الطلاب الإلحاد والزندقة⁽³⁾.

وحت المؤرخ الواسعي في كتابه على ضرورة تعلم العلوم العصرية والصناعية والزراعية، وإلا سيبقى اليمنيون عالة على الأجانب، وأنه إذا ما كان هناك اهتمام بالتعليم سيوجد المخترع

(1) النص، ص 301.

(2) النص، ص 307.

(3) النص، ص 309-310.

والمكتشف والصانع، وسيتم صنع الأسلحة العصرية، والذخائر، والبوارج الحربية، والطائرات "مالنا لا نبعث طائفة من أبنائنا لطلب العلوم المفقودة لدينا... فترجع أولادنا وقد نهضت إلى المستوى اللائق بها، ثم تبث ما تعلمته في أبناء وطنها"⁽¹⁾. ورأى أن من أسباب العمران هي: المدارس، والجمعيات، والجرائد، والخطابة، والاجتماع والاتفاق.

وفي أحداث سنة 1352هـ/1933م ذكر المؤرخ أن سيف الإسلام وزير المعارف عبدالله بن الإمام يحيى حرص على نشر المعارف وتعميم المدارس في أنحاء اليمن، وأنه استقدم أساتذة للتعليم والزراعة، وحكام من مصر وسوريا والعراق ولبنان، وللصناعة أحضر أساتذة من مصر⁽²⁾. كما أشار أن الإمام يحيى اهتم بإرسال بعثات علمية إلى الخارج، إلى مصر وسوريا والعراق "للارتساف من رحيق معارفها، وبعد رجوعها تنشر ما تعلمته لتعليم أبناء وطنها"⁽³⁾. ووثق المؤرخ تاريخ بناء مكتبة الجامع الكبير "المكتبة الشرقية" سنة 1344هـ/1925م، وأطلق عليها المكتبة العظيمة، والتي بناها الإمام يحيى حميد الدين، "وجمع لها من الكتب النفيسة من كل فن، وجمع خزائن كتب الوقف القديمة التي في صنعاء، التي كانت عبثت بها بعض الأيدي لتلفها"⁽⁴⁾.

ولم ينس المؤرخ أن يذكر في كتابه المدن اليمنية التي اشتهرت بالعلم والعلماء وهي كثيرة، ففي زبيد يذكر بأنها مدينة مشهورة بالعلم، خرج منها علماء كبار لا يحصى عددهم، وطار ذكركم في البلاد والآفاق، كذلك بيت الفقيه، أما صعدة فيصفها بأنها مدينة عامرة مشهورة بالعلماء، وطلبة العلم فيها كثيرون، وكان يهاجر إليها محبو العلم من كل حذب وصوب⁽⁵⁾، كذلك حضر موت وضحيان. أما أنس، فيذكر أن فيها من بيوت العلم وحملته مثل: بيت العنسي، والغشم والحماطي، وغيرهم⁽⁶⁾.

(1) النص، ص 136.

(2) النص، ص 314.

(3) النص، ص 314-315.

(4) النص، ص 301.

(5) النص، ص 54.

(6) النص، ص 52.

وعلى الرغم من أن المؤرخ قد أفرد فصلاً كبيراً للأوضاع السياسية، منذ الإسلام حتى الفترة التي عاصرها، إلا أنه وثق أسماء كثيرة من المؤلفات في مختلف العلوم، وذلك عند أن كان يترجم لكثير من الأئمة الزيدية، الذين لعبوا دوراً في تاريخ اليمن الإسلامي والحديث. من ذلك على سبيل المثال عندما ترجم للإمام يحيى بن حمزة (669-747هـ / 1271-1346م) ذكر أن مصنفاته بلغت مائة مجلد، وسرد حوالي ثلاثين مؤلفاً من مؤلفاته⁽¹⁾، كذلك الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (775-840هـ / 1373-1437م) أورد حوالي خمس وثلاثين مؤلفاً من أهم مؤلفاته، وفي مختلف العلوم⁽²⁾، كذلك الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين، وغيرهم من الأئمة الزيدية المجتهدين.

كما اهتم المؤرخ بما قام به بعض الأئمة الزيدية من بناء للمساجد، والتي كانت دوراً للعلم، إلى جانب العبادة، كذلك المدارس فنجدته يذكر أن للإمام شرف الدين مآثر كثيرة، منها: مسجد المدرسة بصنعاء، ومدرسة ذمار وكوكبان وثلا، وتوسيع مسجد الوشلي⁽³⁾، كذلك الإمام المنصور حسين (1107-1140هـ / 1696-1728م) يذكر بأن من مآثره: قبة المهدي عباس، ومسجد التقوى ببستان السلطان، ومسجد النور بحافة معمر، ومسجد باب اليمن، ووقف الأوقاف العظيمة⁽⁴⁾.

والكتاب مليء بالكثير من الأمثلة، التي تدل على ازدهار الحياة العلمية والثقافية في اليمن، أكتفينا بإيراد بعض منها كنماذج فقط، خشية الإطالة، الذي لا طائل منه.

ولأن المؤرخ كان مثقفاً وأديباً، فقد أورد في الكتاب الكثير من القصائد الشعرية، لشعراء سابقين أو معاصرين له، سواء ممن كان يستشهد ببعض من أبيات مشهودة لهم أو أنه كان يورد لهم قصائد كاملة، كما أورد في كتابه كثيراً من المقالات والخطب، التي كانت تنشرها بعض

(1) النص، ص 184.

(2) النص، ص 187-188.

(3) النص، ص 196.

(4) النص، ص 208.

الصحف سواء الإيوان أو اللواء أو الأهرام وغيرها، وفي معظمها لعلماء وأدباء ضليعين في اللغة العربية.

ونقل كذلك من بعض كتب التاريخ - خاصة الرحالة - ما كان يستهويه من نثر رائع، لعل أبرز مثال ما نقله من كتاب أمين الريحاني، ملوك العرب في وصف صنعاء، حوالي صفحة ونصف، من ذلك على سبيل المثال: "أي صنعاء مثلك لنا التاريخ، فكنت مليكة الزمان، ومثلك لنا العلم فكنت يوماً ربة العرفان، ومثلك لنا الأساطير فكنت سيدة الجن والجان"⁽¹⁾.

خامساً: جغرافية اليمن

لقد اهتم المؤرخ الواسعي بجغرافية اليمن، فأورد في كتابه كثيراً من المعلومات عن جغرافية اليمن، وقد بدأ في الفصل الأول بجزيرة العرب، باعتبار أن اليمن جزءاً من جزيرة العرب، لذا أورد حدود الجزيرة العربية ومساحتها، وسطحها، وإقليمها، وأراضيها، ثم ختم الفصل بموقع اليمن، وحدوده الطبيعية⁽²⁾.

والفصل السادس أفرده لعدد سكان اليمن، وديانتهم، ولغتهم، وذكر فيه أن عدد سكان اليمن في عصره يقدر على الأقل بخمسة عشر مليون، وذكر الأقوال المختلفة في عدد السكان، وجميعها ترجيحية⁽³⁾. وذكر أن عدد سكان تهامة لوحدها يقدر بخمسة مليون نسمة، أما عدد سكان صنعاء فقدّرته بسبعين ألف نسمة⁽⁴⁾.

وفي الفصل السابع الذي عنوانه (في تسمية اليمن وطوله وعرضه وحدوده) أشار إلى أن لليمن من الكواكب والبروج زحل والدلو، وأورد طول صنعاء من الشرق 118 درجة والعرض 14 درجة.

(1) النص، ص 44.

(2) النص، ص 11-12.

(3) النص، ص 24.

(4) النص، ص 24، 43.

وأورد ما قاله بعض الجغرافيين عن اليمن، حيث وصفوا نصف اليمن بالخصراء، لكثرة زروعها وثمارها وأشجارها، وأطلق عليها اليونان (العربية السعيدة) لكثرة خيراتها، وذكر حدود اليمن، وأنها تنقسم إلى قسمين، قسم السهول، وقسم الجبال. أما صنعاء، فقد أفرد لها فصلاً، ذكر فيه عدد سكانها وحدودها، وأسهب في وصف هوائها النقي الطيب شتاءً وصيفاً.

وفي الفصل الذي أفردته عن حضرموت، فقد ذكر حدودها وذكر أن عدد سكانها حوالي ثلاثمائة ألف نسمة. وأورد بعضاً من جغرافية اليمن عندما نقل ما كتبه المستشرق الكرمللي حول أهمية اليمن: "فإن في ربوع اليمن مناطق مختلفة، منها شديدة البرد، ذلك البرد الذي لا يطاق، ومنها شديدة الحر، بحيث لا يمكن المرء أن يتنفس فيها، ومنها ماهي معتدلة. وفيها أنواع الجبال والهضاب"⁽¹⁾. كما أورد المؤرخ أهمية موقع الشيخ سعيد وعدد سكانها، وأفرد فصلاً لجزيرة ميون، مما ذكره فيه أهمية موقعها التجاري على طريق الهند، غير أنه لا يوجد بها "ماء عذب، ولا زرع، ولا ضرع"⁽²⁾، وفصل آخر أفرده لأشهر جبال اليمن، وقدر ارتفاع المشهور منها، ذكرها مرتبة حسب حروف الهجاء، كما أفرد عنواناً لغيول اليمن وأوديتها وسائلاتها، بدأ بالغيل الأسود، وأنتهى بغيل مصطفى.

وذكر أسماء الوديان، وأهميتها، وماهي مزروعات بعضها، من هذه الأدوية على سبيل المثال: وادي مور، وادي سهام، وادي حلي، وادي السر، وادي حريب، وادي الدور، وغيرها كثير.

أما الفصل الثامن عشر، فقد أفردته لجغرافية اليمن، تناول فيه مساحة اليمن، ومناخها في قسم الجبال، وفي قسم تهامة، وزراعتها وصناعتها، ووارداتها، وصادراتها، وذكر أنه قد رسم خريطة لليمن، وأضافها في آخر الكتاب، في الملاحق. وتابع المؤرخ الواسعي في كتابه أهم ما كان يحدث في اليمن من ظواهر طبيعية، مثل: الأمطار، الجفاف، الزلازل، البراكين. كما اهتم بتسجيل

(1) النص، ص 63.

(2) النص، ص 84.

ما كان يحدث في عصره من صواعق، في جهات مختلفة من اليمن، وما كان يترتب عليها من أضرار⁽¹⁾.

سادساً- أوضاع العالم:

لقد ألف المؤرخ الواسعي هذا الكتاب من أجل اليمن وتاريخه، إلا أنه كان بين الحين والآخر يشير إلى أهم الأحداث في العالم، وكان معظمها يصل إليه عن طريق الصحف العربية والتركية. إن أول ما ذكره المؤرخ في هذا الجانب هو جزيرة العرب، حيث أفرد لها فصلاً، ذكر فيه حدودها وأقاليمها وأراضيها، وأهم مقاطعاتها. وعند ترجمته للسيد أحمد الإدريسي أورد نبذة عن السيد علي الميرغني، وكيف نشر الطريقة الميرغنية في السودان⁽²⁾، وعند آن أورد وترجمة لمحمد بن علي الإدريسي تناول الحرب بين الدولة العثمانية وإيطاليا⁽³⁾. وكان المؤرخ خلال وصفه للعادات والتقاليد في اليمن، يذكر كثيراً من الكلمات أو المصطلحات اليمنية، سواء في الملابس أو أدوات الزينة، كذلك في الفواكه وغيرها، نجده يقارن تلك المسميات في اليمن بما كان يطلق عليها في مصر والشام والعراق، وأحياناً تركيا، وبذلك يكون قد أورد لنا كثيراً من الكلمات والمصطلحات المتداولة في هذه البلدان، فمثلاً نجده عندما شرح مما تصنع "المداعة" يقول: "يسمونها العراقيون (نارجيلة)، وفي مصر (الجوزة)، وفي الشام (أركيلة)"⁽⁴⁾.

وأورد في كتابه أهم الأخبار التي قرأها في صحف تركية- على حد قوله- ولأنها ملفتة للانتباه وثقها في كتابه، منها على سبيل المثال، أن جبلاً عظيماً في أمريكا تحرك ومشى، وأهلك نفوساً، وشرح السبب في ذلك، أو ما حدث في فرنسا من أمراض، ومنها الجدري، وأنه مات عشرون ألفاً من الأطفال⁽⁵⁾. أو أنه حدث زلزال في اليونان مات بسببه ثلاثمائة، ودمر أربعمئة منزل⁽⁶⁾. ومن أهم الأخبار التي أوردتها المؤرخ في كتابه هو خلع السلطان عبدالحميد الثاني، وما

(1) النص، ص 255.

(2) النص، ص 120.

(3) النص، ص 121.

(4) النص، ص 132-133.

(5) النص، ص 256.

(6) النص، ص 279.

ترتب على ذلك من قتل ونفي لوزرائه، ونفي السلطان عبدالحميد إلى سالونيك، وحجز أمواله ومدخراته⁽¹⁾. ونجده يصف مدينة أدرنة التركية وصفاً دقيقاً، أسواقها ومبانيها وجوامعها ومدارسها ومستشفياتها وحدائقها، ومصنوعاتها، ومزروعاتها، وعدد سكانها، وعدد سناجقها، ثم يذكر أنه عند سقوط تركيا في الحرب العالمية الأولى استولت عليها إيطاليا⁽²⁾. وتابع بعضاً من أحداث الحرب العالمية الأولى بدأ بذكر السبب المباشر للحرب، ثم تابع أخبار تلك الحرب باقتضاب شديد، مؤكداً أن اليمن لم يتضرر من تلك الحرب⁽³⁾.

في ختام هذا البحث نوصي بالآتي:

- ضرورة الاهتمام بمؤلفات المؤرخين اليمنيين في تاريخ اليمن الحديث والمعاصر ودراسة نتاجهم العلمي.
- توجيه طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ (شعبة التاريخ الحديث والمعاصر) في الجامعات الحكومية والأهلية لتحقيق المخطوطات في مجال التاريخ الحديث والمعاصر، لإبراز الأحداث والوقائع التاريخية لهذه الفترة التي كتبها مؤرخي التاريخ الحديث والمعاصر.
- إلزام وزارة التربية والتعليم بإدراج نبذة بسيطة عن مؤرخي تاريخ اليمن الحديث والمعاصر في مناهج التعليم الإعدادي والثانوي وبشكل يتناسب مع مداركهم ومفهومياتهم.
- ضرورة التوعية الإعلامية بأهمية تاريخ اليمن من خلال أجهزة الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.
- إقامة ندوات وفعاليات ثقافية بين الفينة والأخرى من قبل وزارة الثقافة للتعريف بأهمية تاريخ اليمن الحديث والمعاصر.

(1) النص، الصفحة السابقة.

(2) النص، ص 291.

(3) النص، ص 292.

قائمة المراجع:

1. إسماعيل بن علي الأكوغ: هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1995م.
2. أمة الغفور عبدالرحمن علي الامير: الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي (1054-1099هـ/ 1644-1688م)، مع تحقيق بهجة الزمن في تاريخ اليمن للمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم، صنعاء، مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية، الطبعة الاولى، 1426هـ/ 2008م.
3. أمة الملك اسماعيل الثور: بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد الامام المؤيد محمد بن القاسم (995-1054هـ/ 1583-1644م) مع تحقيق مخطوطة الجوهرة المنيرة في مجمل من عيون السيرة للمؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي، صنعاء، مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية، الطبعة الاولى، 1429هـ/ 2008م.
4. أمة الملك اسماعيل الثور: الموقف اليمني من الحكم العثماني الثاني مع تحقيق مخطوط الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور محمد بن يحيى بن حميد الدين للعلامة علي بن عبدالله الارياني، دار الفكر، دمشق، 2008م.
5. حسين بن أحمد العرشي: بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى اليمن من ملك وإمام، نشرها وحققها الأب، انستاس ماري الكرملي، مطبعة البرتيري، القاهرة، 1939م.
6. خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، مايو، 1986م.
7. سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث (1904-1948م) ط4، 1993م.
8. سيد مصطفى سالم: المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول، المطبعة العالمية، القاهرة، 1971م.

9. عبد السلام بن عباس الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، عمان، الاردن، ط1، 1999م.
10. عبدالله عبدالكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، منشورات العصر الحديث، بيروت، ط2، 1978م.
11. عبدالواسع بن يحيى الواسعي، فرجة الهموم والحزن في تاريخ اليمن، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 2007م.
12. فاروق عثمان أباضة: الحكم العثماني في اليمن (1872-1918م)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1975م.
13. فواد عبدالوهاب الشامي: علاقة العثمانيين بالإمام يحيى في ولاية اليمن (1322-1337 / 1904-1918م)، مركز الرائد للدراسات والبحوث، صنعاء، 2014م.
14. محمد بن محمد زبارة: نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، 1979م.
15. المطهر بن محمد الجرهموزي: تحفة الأسع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار، دراسة وتحقيق، عبد الحكيم بن عبدالمجيد الهجري: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن، 1223هـ / 2001م.
16. المطهر بن محمد الجرهموزي: النبذة المشيرة الى جمل من عيون السيرة (سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد)، دراسة وتحقيق الدكتور عبدالحكيم عبدالمجيد الهجري، مجلدين، الطبعة الأولى، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، 2021م.
17. الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1412هـ / 1992م.